

في خُطَبِ رَمَضَان

اثْنَتَا عَشْرَةَ خُطبةً عن رَمَضَان



د. عَبْدُالله بن عَبْدِه نُعْمَان العَوَاضِي

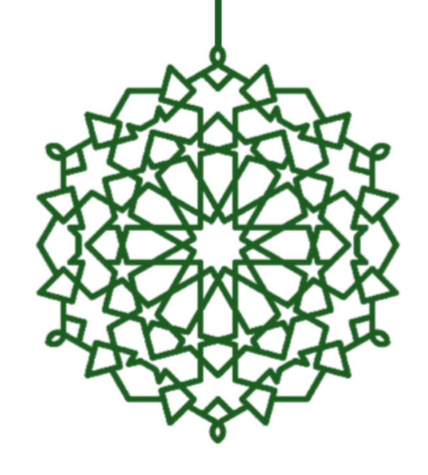


فتح الرحمن

في خطب رمضان

اثنتا عشرة خطبة عن رمضان





د. عبدالله بن عبده نعمان العواضي


بسم الله الرحمن الرحيم



المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

فهذه اثنتا عشرة خطبة ألقيتها عن رمضان في سنوات متفرقة، أحببت جمعها في سلك واحد مستقل، ليفيد منها الخطيب وغيره، مع أنها قد نشرت في المجموعتين: الثانية والخامسة من مجموعات خطبي التي تحمل عنوان «**النور السائر من خطب المنابر**».

والله الهادي إلى سواء السبيل.

د. عبد الله بن عبده العواضي

خطيب جامع ابن الأمير الصنعاني.

شعبان/١٤٤٢هـ



بين يدي رمضان[1]

الحمد لله المنعم على العباد، الهادي إلى سبيل الرشاد، ينعم جوداً وفضلا، ويمنع ما شاء حقًا وعدلا، كم من خير منه على خلقه نازل، وكم من شر منهم إليه صاعد، يتقرب إليهم بفضله ونعمته، وهو الغني عنهم، ويبتعدون عنه بمخالفته ومعصيته، وهم الفقراء إليه، فرحماك ربي رحماك ما أكرمك وما أحلمك!

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، المعبود عبادة حق في أرضه وسمائه، وأشهد أن محمد بن عبد الله عبده ورسوله، سيد أنبيائه وخيرة أصفيائه، خير من صلى وصام، وتبتل وقام. بلغ رسالة ربه كما أراد ربه بلاغاً أنار المحجة حتى لا يكون للناس على الله حجة، فصلى الله عليه ما صلى المصلون وصام الصائمون صلاة وسلاماً دائمين إلى يوم المعاد، وسلم تسليما.

أما بعد:

فاتقوا الله -عباد الله- واعلموا أنه قد هل عليكم شهر التقوى، فحققوها فيه تفلحوا، قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ [البَقَرَة: ١٨٣].

أيها الناس، مع امتداد فجر هذا اليوم الأغر من هذا الشهر الأزهر نحمد

(١) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني، صنعاء، يوم ١/ رمضان/ ١٤٣٣هـ

الله تعالى حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحبه ربنا ويرضى، نحمده ﷻ على أن بلغنا هذا الشهر الفضيل ونحن في صحة وإقامة، وجعلنا ممن هل عليهم هلاله وشملتهم ظلاله، فكم قد حُرِم هذا الخير ناس بين ميت فارق الحياة إلى قبره، ومريض حبسه مرضه، وحي يعيش بجسد ميت ترك الصيام لغلبة شره. فالحمد لله على فضله ومنته، فاللهم أدم علينا نعمك وأسبغ علينا فضلك.

أيها الصائمون، لقد أقبل علينا رمضان يحمل معه الجوع والظمأ، والتعب والنصب، ولكنه جوع تشبع معه الروح وتروى، وعناء تستريح فيه وتقوى.

لقد جاء رمضان لتورق فيه شجر الطاعة، وتذبل فيه أشجار المعصية.

أتى رمضان ليستمتع المؤمن بجنة من جنات الدنيا، يشتم فيها نسائم التلاوة العذبة، ويذوق فيها حلاوة الصيام الماتع، ويتلذذ بطول القيام الخاشع بين يدي الرب الكريم.

حل رمضان على الأمة ليفتح للعاصي صفحة بيضاء من صفحات الأيام؛ ليتوب فيها بعد أن سوّد صفحات العام.

نزل رمضان ضيفاً كريماً على عباد الله ليتزود المتقون، ويقبل الشاردون ، ويكثر التالون والعابدون، والقائمون والمتصدقون، وينتصر الصادقون على الشيطان والنفس الأمارة بالسوء.

هكذا هل رمضان ليربط الماضي بالحاضر؛ فالصوم عبادة قديمة في الأمم الماضية، كما قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ [البَقَرَة: ١٨٣] .

غير أن الصيام في هذه الأمة يختلف عما قبلها بالزمان والمقدار والتيسير.

أيها المسلمون، إن شهر رمضان شهر تفتح فيه أبواب الجنان لكثرة الداخلين، وتغلق فيه أبواب النار لقلة الوالجين، وتصفد فيه الشياطين لقلة الغاوين.

شهر تفضل الله فيه على عباده بليلةٍ العبادةُ فيها خير من العبادة في ألف شهر، وهذه الليلة هي ليلة القدر.

شهر شُرِّف بالصيام الذي يقي صاحبه النار والشهوات، ويسوق خطاه إلى أعلى الدرجات في الجنات، ويشفع له عند لقاء ربه، ويكفر عنه ذنبه، ويسعده في دنياه وأخراه.

عباد الله، فلا عجب -بعد هذا- إذا شُرِع الاستبشار والتبشير بقدوم هذا الضيف الكريم؛ فرسولنا العظيم عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كان يبشر أصحابه بمجيئه- كما روي عنه- أنه قال: «**أتاكم رمضان شهر بركة يغنيكم الله فيه، فينزل الرحمة، ويحط الخطايا ويستجيب فيه الدعاء، ينظر الله إلى تنافسكم ويباهي بكم ملائكته، فأروا الله من أنفسكم خيرا؛ فإن الشقي من حُرِم فيه رحمة الله** عَزَّوَجَلَّ»[1].

فماذا أنت فاعل فيه يا عبد الله؟ وما الخير الذي قد نويته واستعديت له؟ وما أبواب الخير التي ستلجها، وأبواب الشر التي ستوصدها؟ أم أن الشهور كلها عندك سواء، وعملك في جميع السنة لا يختلف؟!

تذكر أن رمضان فرصة قد لا تعود، وغنيمة قد لا ترجع، وعمرُ خيرٍ قد يذهب ولن تلقاه بعد رحيله.

أتى رمضان مزرعة العباد	لتطهير القلوب من الفساد
فأدِّ حقوقه قولاً وفعلاً	وزادك فاتخذ للمعاد
فمن زرع الحبوب وما سقاها	تأوه نادماً يوم الحصاد

أيها الصائمون، إن الصوم عبادة من العبادات التي شرعها الله تعالى

(١) قال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير وفيه محمد بن أبي قيس ولم أجد من ترجمه. وضعفه الألباني.

لغايات حميدة، وأسرار في الخير بعيدة، علم ذلك من علم وجهله من جهل.

فالصيام سبيل إلى تحصيل التقوى، وتربية النفس على الإخلاص والمراقبة للمولى، وهو طريق إلى تخلي القلب للفكر، واللسان للذكر، وسائر الجوارح للمسابقة إلى الخيرات في جميع الأوقات. والصيام يعرف الغنيَّ قدر نعمة الله عليه بالغنى.

والصيام يعين على ضبط النفس والسيطرة عليها والحد من كبريائها وانفلاتها.

والصيام يربي المسلم على الإيثار ورحمة المحتاجين، والصبر على إساءة المسيئين، والصبر على طاعة الله ومُرِّ قضائه. ويذكر الصائم بأنه عبد لله تعالى مستسلم لأمره وحكمه.

وهذه العبادة العظيمة تزرع في نفس المسلم التطلع إلى الدار الآخرة حين يجوع ويظمأ ويحرم من الشهوات ويعاني النصب والتعب، فيتذكر ما يلاقيه أهل النار من ذلك فيبحث لنفسه عن منجاة وخلاص.

أيها المسلمون، إن الصيام من العبادات العامة التي جعلت بعض المسلمين يؤديها عادة وجرياً مع الجمع الصائم مكتفياً بظاهرها دون التأمل في معانيها والأهداف التي شرع لأجلها.

فالمسلمون يصومون رمضان كل عام، لكن بعضهم اقتصر على الإمساك عن الطعام والشراب والمعاشرة الزوجية فحسب، وظن أن الصيام هو ذاك فقط، والحق أن الصيام أعمق من ذلك، وأوسع مما ظن وتصور.

إن الصوم الشرعي -**معشر الصائمين**- ليس هو الامتناع عن تلك المفطِّرات وحدها، بل هو إمساك عن جميع ما لا يرضي الله ﷻ من المعاصي صغيرها وكبيرها.

فالصوم الكامل أن تصوم جميع الجوارح عن المساخط والرذائل، فاللسان يصوم عن قول الزور والباطل، والسوء والفحش، والبذاء والتعدي على الآخرين بالطعن والثلب ونحو ذلك من سقط الكلام وعيبه.

والصوم الصحيح أن تصوم العينان عن النظر إلى الحرام من الأعراض الممنوعة والعورات المستورة.

والصوم التام أن تصوم الأذنان عن سماع اللهو والخنا، والنم والتعييب للخلق.

والصيام النافع أن تصوم الرجلان عن الخطوات إلى الحرمات والثبات على العثرات.

والصوم الناجح أن يصوم القلب والعقل والنفس كلها عما لا ينبغي ديناً وخلقا.

هذا هو صيام العبادة، أما أهل صوم العادة فإنهم يطلقون لجوارحهم العنان في رمضان لترتع حيث شاءت مما تعودت عليه أو وما استُحدث لها في شهر الصيام من المكروهات.

فأصبحوا يسمعون ويشاهدون ويبطشون ويسعون إلى منازل الشر عن علم أوعن جهل.

ففي رمضان قد يُرى بعض صوّام العادة صائماً ولا يصلي، أو يصلي بعض الفروض ويترك بعضها الآخر.

وفي النهار يقضي نهاره بالنوم، وفي الليل يقدح زناد اللهو لينطلق في ليالي الغفلة إلى عكوف أمام قنوات تخدش حياءه وتجرح صومه، وتذهب عنه أثر عبادة الصيام إن أثمرت فيه شيئا.

ومنهم من يجعل رمضان شهراً للغضب وضيق الخُلق؛ فيخرج منه السب والشتم والجواب غير اللائق بالمسلم وذي الخلق الكريم.

ومنهم من يجعل رمضان فرصة للكسل والإكثار من المأكولات والمشروبات.

ومن النساء من تجعل رمضان دورة مكثفة للتفنن في إعداد الأطعمة والأشربة المختلفة وتظل حبيسة مطبخها مفوّتة على نفسها فضائل رمضان.

ما بهذا -**يا عباد الله**- أُمر الصائم، وما لهذا شُرع الصيام!

إن الصيام -**معشر الصوّام الكرام**- امتثال قولي وفعلي لما يأمر به الهدى والخير، قال رسول الله ﷺ: «**من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه**»[1]. وقول الزور هو: كل قول وفعل يغضب الله تعالى.

و قال رسول الله ﷺ : «**رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش، ورب قائم حظه من قيامه السهر**»[2].

وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : «**ليس الصيام من الأكل و الشرب، إنما الصيام من اللغو و الرفث، فإن سابك أحد أو جهل عليك فلتقل : إني صائم إني صائم**» [3].

وقال جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إذا صمتَ فليصم سمعك وبصرك و لسانك عن الكذب و المحارم، و ليكن عليك وقار و سكينة يوم صيامك، و لا تجعل يوم فطرك و صومك سوءا».

---

(١)« » رواه البخاري

(٢)« » رواه الطبراني والحاكم وأحمد وابن ماجه والنسائي، وهو صحيح.

(٣)« » رواه البيهقي والحاكم وابن خزيمة، وهو صحيح.

إذا لم يكن في السمع مني تصاون
وفي بصري غض وفي منطقي صمت
فحظي إذاً من صومي الجوع والظما
فإن قلت إني صمت يومي فما صمت

فيا أيها الصائم، هذه مائدة رمضان مدت أمامك فلا تحرم نفسك الصيام المقبول، والفوز بنيل المأمول، ولا تضيع وقت رمضان النفيس في اللهو واللعب، والغفلة وكثرة العبث؛ فالمفلح من انتهز الفرص وبادر العمل قبل مفاجأة الأجل، وتهيأ بالزاد الذي ينجيه يوم المعاد. ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُونِ يَـٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَـٰبِ ١٩٧﴾ [البَقَرَة : ١٩٧] .

رزقني الله وإياكم المسارعة إلى الخيرات، والكفَّ عن المنكرات والخطيئات.

قلت قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.



الخطبة الثانية

الحمد لله ذي الفضل والمنة، العليم بما تخفي الأجنّة، وما تستر الأكنّة، جعل الصوم جُنّة، وسبيلاً إلى الجَنة، أنزل القرآن هدى للإنس والجِنة، فاستنارت به العقول، ولانت به القلوب، وغدت النفوس به مطمئنة، وصلى الله على البشير النذير والسراج المنير وسلم تسليما.

أما بعد:

أيها الصائمون الأفاضل، الصيام عبادة من العبادات التي تحتاج إلى معرفة أحكامها؛ حتى يؤديها المسلم كما ورد في الشرع الحنيف، وهذا من العلم الذي قد تتعين معرفته وعدم جهله على كل مسلم يجب عليه الصيام ؛ لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وما زاد على الواجب فهو من الخير الذي ينبغي الحرص عليه.

عباد الله، لا يجوز للمسلم المكلف أن يستقبل رمضان بصوم يوم أو يومين، إلا إذا كان معتاداً للصيام فوافق ذلك كذلك، كأن يكون ممن يصوم الاثنين والخميس، أو يصوم يوماً ويفطر يوماً، فلا حرج عند ذلك في الصيام إن صام.

قال رسول الله ﷺ: **«لا تقدّموا رمضان بصوم يوم ولا يومين، إلا رجل كان يصوم صوماً فليصمه»**[١].

ومن الأحكام: أن رمضان يثبت دخوله برؤية هلاله، فإن لم يُر الهلال فتكمل عدة شعبان ثلاثين يوما.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : **«صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته،**

(١) متفق عليه.

فإن غمي عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين» [١].

ومن الأحكام: أن من وجب عليه صيام رمضان فعليه أن ينوي صومه قبل مجيئ فجر أول يوم منه، فينوي بقلبه أنه إذا كان الغد من رمضان فإنه صائم، فإن أصبح ولم ينو لم يصح صومه ذلك اليوم، وعليه القضاء، فعن حفصة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ قال : **«من لم يبيت الصيام قبل الفجر فلا صيام له»** [٢].

أيها المسلمون، يجب صيام رمضان على المسلم البالغ العاقل الصحيح المقيم والمرأة النقية من الحيض والنفاس، ولا يجب الصيام على كافر حتى يسلم، ولا على مجنون حتى يعقل، ولا على صبي حتى يبلغ، لكن لو صام صح منه وأجر عليه وينبغي أن يشجع على ذلك كما كان بعض الصحابة يصوّمون صبيانهم ليتدربوا على هذه العبادة، ولا يجب على مريض يؤثر عليه الصوم حتى يصح، ولا على مسافر سفراً تقصر فيه الصلاة حتى يقيم، فلو صام صح منه، ولا يجوز للحائض والنفساء أن تصوما حتى تطهرا.

عباد الله، على المسلم أن يعلم أن الصيام يبطل بالأكل والشرب وما في معناهما مما يقوم مقام الطعام والشراب؛ كالإبر المغذية، ويبطله أيضاً الجماع والاستمناء في نهار الصوم، والتقيؤ عمدا، ونزول دم الحيض أو النفاس من المرأة، أما دم الاستحاضة فلا يفطر المرأة ويجب عليها الصيام معه متى ما علمت أنه دم استحاضة لا حيض، وأطاقت الصيام، ومن أكل أو شرب ناسياً فليتم صومه فإنما أطعمه الله وسقاه وليس عليه شيء، ومن اغتسل أو اكتحل أو شم الطيب أو بلع الريق أ ورعف في نهار الصوم

(١) متفق عليه.

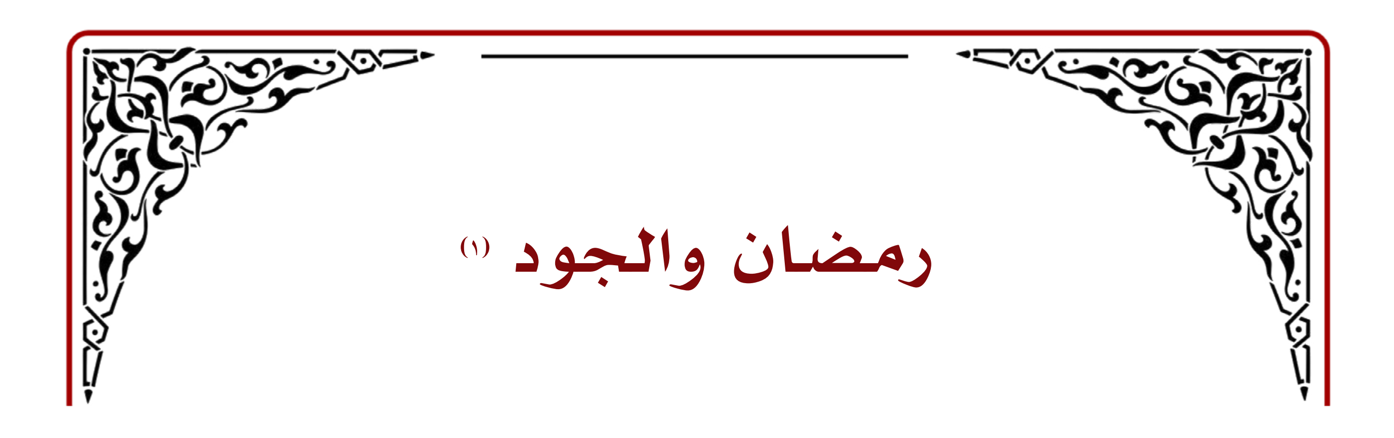
(٢) رواه البيهقي والنسائي وغيرهما، وهو صحيح

فصومه صحيح. والله أعلم

روى ابن أبي شيبة في مصنفه عن حسين بن علي، قال: سألت هشام بن حسان: أي شيء كان الحسن يقول إذا رأى الهلال؟ قال: كان يقول: «اللهم اجعله شهر بركة، ونور، وأجر، ومعافاة، اللهم إنك قاسم بين عبادك فيه خيرا، فاقسم لنا فيه من خير، كما قسمت فيه بين عبادك الصالحين».

ونحن ندعو بهذا: اللهم اجعل شهر رمضان لنا شهر بركة، ونور، وأجر، ومعافاة، اللهم إنك قاسم بين عبادك فيه خيرا، فاقسم لنا فيه من خير، كما قسمت فيه بين عبادك الصالحين.

هذا وصلوا وسلموا على الهادي البشير...



رمضان والجود [(١)]

الحمد لله الغني الكريم، الوهاب الرحيم، الذي أغنى وأقنى، وأنعم وأولى، وأعطى وأسدى، وأفضل وأجزل، فسبحانه ما أكثر مِننه على عباده، وما أعظم كرمه وجوده، وأوسع غناه وسخاءه، ، لا ينفد ما عنده ولو أعطى كلَّ عبد من عباده ما سأل، وهو القائل جَلَّ وَعَلَا -في الحديث القدسي-: «**يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر**»[(٢)].

أشهد أن لا إله إلا هو، إله كريم يحب الكرم، جواد يحب الجود، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي بلغ المدى فيما سخا وأنفق، وبذل في الخير وتصدق، أعطى عطاء من لا يخشى الفقر، فصلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾

[آل عِمرَان : ١٠٢] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ

(١) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني يوم ٨/ رمضان/ ١٤٣٣هـ ٢٧/ ٧/ ٢٠١٢م.

(٢) رواه مسلم.

إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النِّساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾

[الأَحزَاب: ٧٠ - ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وإن أفضل الهدي هدي محمد رسول الله ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الصائمون الفضلاء، اعلموا -رحمني الله وإياكم- أن شهر رمضان شهر الخيرات والبركات، وموسم المسارعة إلى الطاعات والقربات.

يتنقل المسلم في رياضه النضرة من خير إلى خير، ومن بِر إلى بر، ومن نعمة إلى نعمة، ومن أجر إلى أجر. فلله الحمد والشكر.

فمما يزخر به هذا الشهر الكريم من الطاعات: طاعة الجود بالصدقات، وبذل المال في سبل البر والخيرات، وما أحوج الصائمين الفقراء إلى من يعينهم بسخائه ليكملوا عدة رمضان وقد حمدوا نزوله عليهم، فأقبلوا على الطاعات وقد خُفِّف عنهم همّ المعيشة، وأُعينوا على التفرغ لإدراك فضائل رمضان.

وإنها لسعادة كبيرة لك -**أيها الغني**- عندما ترى مسلماً أعنته على طاعة الله بمالك فأصبح يتقرب إلى ربه تعالى خالي البال من هموم الحاجة والعوز، فكيف لو رأيته متفرغاً للقيام والقراءة والإقبال على العبادة في هذا الشهر المبارك وأنت سبب ذلك؟ قال رسول الله ﷺ: « **من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا، ومن خلف غازياً في سبيل الله بخير فقد**

غزا »[١].

وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**من فطر صائماً كتب له مثل أجره، لا ينقص من أجره شيء**»[٢].

هذا العمل من أحب الأعمال إلى الله تعالى، قال رسول الله ﷺ : «**أحب الأعمال إلى الله ﷻ سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تطرد عنه جوعا، أو تقضي عنه دينا**» [٣].

أيها المسلمون، إن الله تعالى كريم ويحب من عباده أن يتصفوا بصفة الكرم، ومظاهر كرم الله تعالى وجوده لا تعد ولا تحصى.

قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى جواد يحب الجود، و يحب معالي الأخلاق، و يكره سفسافها**»[٤].

فمن مظاهر كرم الله تعالى بين عباده: ما تفضل به عليهم من الخير في شهر رمضان: عبادات متعددة، وأجور مضاعفة، ومغفرة ورحمة، وقبول وعتق من النار.

فيا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر.

عباد الله، إن النفس البشرية مطبوعة على حب المال والاستئثار به، فإذا طُلب منها فقد تشح به ولا تعطيه، لكن النفس المسلمة إذا دُعيت إلى البذل في مراضي الله تعالى فلا تبخل؛ لأنها ترجو الأجر على ذلك من الله تعالى، ولها في رسول الله ﷺ أسوة حسنة، الذي كان أكرم الخلق وأسخاهم مع قلة ذات يده.

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه أحمد وابن حبان وابن ماجه والنسائي والترمذي، وهو صحيح.

(٣) رواه الطبراني، وهو حسن.

(٤) رواه البيهقي، وهو صحيح.

فلقد كان الجود ديدن رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وصفته الملازمة له في كل شهور العام، غير أن جوده في رمضان كان يتضاعف ويكثر.

ويحكي لنا ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا صورة من صور دوام جود نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وإسراعه إلى العطاء الكثير فيقول: «كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن فلَرسولُ اللهِ ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة» [١].

إن جود رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يزداد في رمضان لمناسبة الزمان والحال، فحين رأى رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ جود الله على عباده في هذا الشهر المبارك دعاه ذلك إلى مزيد من البذل، فمن جاد على عباد الله جاد الله عليه، والكرم يذِّكر بالكرم.

وازداد جود رسول الله في الشهر؛ طلباً لزيادة الحسنات؛ فإن الأجور في رمضان مضاعفة على غيره.

وتضاعف جود رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وسخاؤه في رمضان لأن الجمع بين الصيام والصدقة من موجبات الجنة، قال رسول الله ﷺ: «**إن في الجنة غرفاً يُرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، أعدها الله عَزَّ وَجَلَّ لمن أطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلى بالليل والناس نيام**» [٢].

وهذه الأعمال تجتمع في رمضان.

ويتضاعف جود رسول الله لمجالسته جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ فإن لقاء الصالحين يرغب في الخير، وفي الاقتداء بأهله.

وهناك سبب عظيم آخر وهو: مدارسة القرآن؛ فلتأثره بكتاب الله بكثرة

(١) متفق عليه.

(٢) رواه الطبراني والترمذي، وهو حسن.

قراءته زاد كرمه؛ عملاً به؛ لأنه -عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ- كان خلقه القرآن، كأنه قرآن يسير على وجه الأرض؛ لامتثاله ما يحث عليه كتاب الله الكريم.

أيها الأحباب الكرام، لقد كانت صفة الجود والكرم خلقاً ثابتاً في شخصية النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حتى قبل البعثة، قالت له خديجة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: «... أبشر؛ فوالله لا يخزيك الله أبدا؛ والله إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكَلَّ، وتُكسِب المعدوم، وتَقري الضيف، وتُعين على نوائب الحق»[(١)].

«وما سئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئاً إلا أعطاه، فجاءه رجل فأعطاه غنماً بين جبلين، فرجع إلى قومه فقال: يا قوم، أسلموا؛ فإن محمداً يعطي عطاء لا يخشى الفاقة»[(٢)].

وقال صفوان بن أمية: «والله لقد أعطاني رسول الله ﷺ ما أعطاني وإنه لأبغض الناس إلي، فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إلي» [(٣)].

وفي غزوة حنين يوزع رسول الله غنائمها بين الناس ولم يبق لنفسه شيئاً، مع كثرة الغنائم، ثم يقول: «لو كان عدد هذه العضاه نَعَماً لقسمته بينكم، ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذوبًا ولا جبانا » [(٤)].

ويلخص ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ جود نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فيقول: «كان ﷺ أعظم الناس صدقة بما ملكت يده، وكان لا يستكثر شيئاً أعطاه لله تعالى ولا يستقله، وكان لا يسأله أحد شيئًا عنده إلا أعطاه قليلاً كان أو كثيرا، وكان عطاؤه عطاء من لا يخاف الفقر، وكان العطاء والصدقة أحب شيء إليه، وكان سروره وفرحه بما يعطيه أعظم من سرور الآخذ بما يأخذه، وكان

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه البخاري.

أجود الناس بالخير، يمينه كالريح المرسلة، وكان إذا عرض له محتاج آثره على نفسه: تارة بطعامه، وتارة بلباسه، وكان ينوّع في أصناف عطائه وصدقته: فتارة بالهبة، وتارة بالصدقة، وتارة بالهدية، وتارة بشراء الشيء ثم يعطي البائع الثمن والسلعة جميعاً كما فعل ببعير جابر، وتارة كان يقترض الشيء فيرد أكثر منه وأفضل وأكبر، ويشتري الشيء فيعطي أكثر من ثمنه، ويقبل الهدية ويكافئ عليها بأكثر منها أو بأضعافها؛ تلطفًا وتنوعًا في ضروب الصدقة والإحسان بكل ممكن، وكانت صدقته وإحسانه بما يملكه وبحاله وبقوله فيخرج ما عنده ويأمر بالصدقة ويحض عليها، ويدعو إليها بحاله وقوله، فإذا رآه البخيل الشحيح دعاه حاله إلى البذل والعطاء، وكان من خالطه وصحبه ورأى هديه لا يملك نفسه من السماحة والندى»[1].

هذا -**يا عباد الله**- مع فقره وقلة ما عنده، فكيف لو كان ذا سعة وغنى؟

ويصدق فيه قول القائل:

تعوّد بسط الكف حتى لو انه ... أراد انقباضاً لم تطعه أنامِلُهْ

تراه إذا ما جئته متهللاً ... كأنك تعطيه الذي أنت نائلهْ

ولو لم يكن في كفه غير نفسه ... لجاد بها فليتق الله سائلهْ

هو البحرُ من أيِّ النَّواحي أتيتهُ ... فَلُجَّتهُ المعروفُ والجودُ ساحلُهْ

أيها المسلمون، إن الجود بالصدقة من الأعمال الصالحة التي دعا الله عباده إليها، ووعدهم العوض والمضاعفة عليها. قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَـٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَـٰفِرُونَ

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد «٢/ ٢١».

هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾ [البَقَرَة : ٢٥٤] .

وقال: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [سَبَإ : ٣٩] .

وقال: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ [البَقَرَة : ٢٦١] .

إن الصدقة -**معشر الصائمين**- تدفع البلاء وتديم النعماء؛ فصنائع المعروف تقي مصارع السوء. وهذا مشاهد في الواقع، فكم دفع الله تعالى من الكوارث والمصائب عن أهل الصدقة والجود!

بخلاف أولئك البخلاء الذين يمنعون حق الله تعالى فيما رزقهم فضلاً عن الصدقة، فإنهم لا يزالون يتنقلون بين أحضان البلاء في أنفسهم وأهليهم وأولادهم وأموالهم.

ذكر الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في كتابه «**البدر الطالع**»[1] هذه القصة فقال: «كان رجل من الزرعة وكان ذا دين وصدقة، فاتفق أنه بنى مسجدا يصلى فيه وجعل يأتي ذلك المسجد كل ليلة بالسراج وبعشائه، فإن وجد في المسجد من يتصدق عليه أعطاه ذلك العشاء، وإلا أكله وصلى صلاته، واستمر على ذلك الحال، ثم إنها اتفقت شدة ونضب ماء الآبار، وكانت له بئر فلما قل ماؤها أخذ يحتفرها هو وأولاده، فخربت تلك البئر والرجل في أسفلها خرابا عظيما، حتى إنه سقط ما حولها من الأرض إليها فأيس منه أولاده، ولم يحفروا له، وقالوا: قد صار هذا قبره، وكان ذلك الرجل عند خراب البئر في كهف فيها فوقعت إلى بابه خشبة منعت الحجارة من أن تصيبه فأقام في ظلمة عظيمة، ثم إنه بعد ذلك جاءه السراج الذى كان

(١) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع «١/ ٤٩٢».

يحمله الى المسجد وذلك الطعام الذى كان يحمله كل ليلة، وكان به يفرق ما بين الليل والنهار، واستمر له ذلك مدة ست سنين والرجل مقيم في ذلك المكان على تلك الحال، ثم إنه بدا لأولاده أن يحفروا البئر لإعادة عمارتها فحفروها، حتى انتهوا إلى أسفلها فوجدوا أباهم حياً، فسألوه عن حاله فقال لهم: ذلك السراج والطعام الذى كنت أحمل الى المسجد يأتيني على ما كنت أحمله تلك المدة».

فانظروا -**يا عباد الله**- إلى حفظ الصدقة لصاحبها، ونجاته من مصيبته بسببها.

أيها المسلم، ألا تحب أن يغفر الله لك ذنبك، ويقيك عذابه يوم تلقاه، إن كنت تريد ذلك -ولا أظنك تأبى- فعليك بالصدقة، قال رسول الله ﷺ: «**فتنة الرجل في أهله وولده وجاره تكفرها الصلاة والصدقة والمعروف**»(١).

وقال رسول الله ﷺ :« **اتقوا النار ولو بشق تمرة** »(٢).

عباد الله، إن الصدقة من الأعمال الشاقة على النفوس التي لم تتعودها؛ لأن النفس من طبيعتها الشح والصد عن كل بر؛ ولذلك سمي هذا العمل الصالح صدقة؛ لأنها دليل على صدق صاحبها في العبودية لله تعالى، وسميت أيضاً برهاناً؛ لأنها تبرهن عن إيمان معطيها.

والجود في سبل الخير يحتاج إلى نية صالحة بأن يكون البذل ابتغاء مرضاة الله تعالى وطلب ما عنده، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩﴾ [الإنسان : ٩].

ويحتاج إلى ستر وإخفاء مهما أمكن؛ لأن ذلك أدعى للإخلاص، وإلى استصغار ما يُعطى ولو كثر البذل؛ لأن الاستعظام للمبذول قد يغير النية

(١) رواه البخاري.

(٢) متفق عليه.

ويمنع استمرار العطاء.

قال بعض السلف: «لا يصلح المعروف إلا بثلاث: تعجيله، وستره، واستصغاره».

وأن يكون المال حلالاً؛ فإن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً، ومن الأفضل أن تكون الصدقة من أحسن المال وأحبه إلى النفس كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ٢٦٧﴾ [البَقَرَة: ٢٦٧].

وأن يتخير المتصدق في صدقته القريب، والأشد حاجة، والطائع قبل العاصي، والمساكين الذين تسترهم بيوتهم عن التعرض للناس، قال تعالى: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحۡصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ ضَرۡبٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ يَحۡسَبُهُمُ ٱلۡجَاهِلُ أَغۡنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعۡرِفُهُم بِسِيمَٰهُمۡ لَا يَسۡـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلۡحَافٗاۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ٢٧٣﴾ [البَقَرَة: ٢٧٣].

بارك الله لي ولكم بالقرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم.

قلت ما سمعتم و أستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، أما بعد:

أيها المسلمون، إن الحديث عن السخاء المستحب يدعونا إلى الحديث عن السخاء الواجب؛ لأن بعض أصحاب الأموال التي تجب فيها الزكاة يجعلون رمضان موسماً لإخراج زكاتهم؛ حرصاً على مضاعفة الأجر. وهذا عمل طيب إذا كان رمضان هو موعد حولان الحول على ذلك المال، أو كان الحول بعده بشهر أو أشهر وأراد صاحب الزكاة أن يعجل زكاته قبل وجوبها؛ حرصاً على خير رمضان.

أما إذا كان موعد وجوب الزكاة في ذلك المال قبل أشهر سابقة لرمضان؛ فإنه لا يجوز تأخيرها إلى رمضان؛ لأن ذلك فيه ظلم للفقراء والمستحقين للزكاة بتأخير حقهم عن موعده المحدد، وهذا أمر مهم ينبغي لأصحاب الأموال أن يتنبهوا إليه.

أيها المسلمون، إن الزكاة ركن ركين من أركان الإسلام، وسمة ناصعة في جبين هذا الدين؛ لأنها صِمام أمان للمجتمعات من الأخطار التي تهددها ، ومن أعظمها خطر الحاجة والفقر. والذي ينتج عنه الأخطار الأخرى كالاضطراب الأمني والاجتماعي والسياسي.

فالزكاة لو أُخذت كما وجبت، وصرفت إلى مستحقيها لتحسن الوضع الاقتصادي للمجتمعات المسلمة، وربما لن يوجد حينها فقير معوز.

وَلَما ظلت بعض الدول الإسلامية مادة أيديها للمساعدات الغربية والأوروبية، والقروض الربوية التي لا تعطى إلا بضرائب تدفعها البلاد من تحجيم لبعض شعائر الشريعة الإسلامية، والسيادة الوطنية، والتبعية لتلك

الدول المانحة.

أيها الإخوة الأحبة، إن الله تعالى لم يوجب الزكاة على كل مسلم، ولا على كل مال، وإنما أوجبها على المسلم الذي ملك مالاً زكوياً ملكاً تاماً، وحال عليه الحول، وبلغ النصاب. وهذا من عدل الله تعالى ورحمته بصاحب المال وبالفقراء أيضا.

فالأصناف التي تجب فيها الزكاة هي: بهيمة الأنعام: الإبل والبقر والغنم. والخارج من الأرض من الحبوب والثمار. وعروض التجارة. والذهب والفضة وما يقوم مقامها في عصرنا الحاضر من الأوراق النقدية.

وسأتحدث في هذه العجالة عن الصنفين الأخيرين:

أيها الصائمون الأفاضل، من ملك ذهباً قدره خمسة وثمانون جراماً فأكثر- أو ما كان قيمة له من العملة الورقية- فقد وجبت عليه الزكاة وهي ربع العشر.

وطريقة إخراج الزكاة في ذلك: أن يعرف قيمة الجرام ثم ينظر ما عنده من الذهب ويضربه به ثم يقسم على أربعين وخارج القسمة هو الزكاة، فلو كان عنده ذهب بأربعة مليون فزكاته مائة ألف، وهكذا.

وأما عروض التجارة -وهي كل ما يعرض ويعد للبيع والشراء من مواد غذائية وقطع غيار وعمارات وأراض وغيرها- فنصابها أيضاً نصاب الذهب ومقدار الواجب فيها كذلك.

وطريقة الإخراج أن يقوم التاجر بحساب ما عنده من البضائع المعروضة والمخزنة والتي في البنك أو هي ديون يرجى قضاؤها ثم يقسم ناتجها على أربعين -كما سبق- والناتج هو الزكاة، ويكون ذلك عند حولان الحول.

أسأل الله تعالى أن ينفعنا بما سمعنا.

هذا وصلوا وسلموا على رسول الله محمد....



رمضان والتفكر(١)

الحمد لله الذي خلق فسوّى، وقدر فهدى، أحمده على نعمه الوفيرة، وآلائه الغزيرة، وأشهد أن لا إله إلا هو المعبود الحق في أرضه وسمائه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيد أوليائه، وخيرة أصفيائه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾

[آل عِمرَان : ١٠٢] .

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النِّسَاء : ١] .

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾

[الأَحزَاب : ٧٠ - ٧١] .

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد رسول الله ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

---

(١) ألقيت في مسجد ابن تيمية، إب، يوم ١٨/ رمضان/ ١٤٢٩هـ ١٨/ ٩/ ٢٠٠٨م.

أيها المسلمون، في رمضان تتعدد الخيرات، وتتنوع الطاعات، فتسمو الروح إلى آفاق الصفاء والنور، وتتسع في النفس مساحات البهجة والسرور، وتحيا القلوب وتصفو العقول، وتسعد الجوارح بالإقبال على القُرب التي تجد فيه لذتها وأنسها.

عباد الله، هناك عبادة عظيمة من العبادات التي قد يكون الصيام الصحيح سبباً لقيام العبد بها؛ لأن هذه العبادة تفتقر إلى انتشال النفس من لهو الدنيا ومشاغلها، وتصفية العقل من مكدراته التي قد تحول دون الوصول إلى هذه العبادة.

فطغيان الحياة المادية المعاصرة بملهياتها ومشكلاتها جعلت الإنسان مأسوراً في بحار الغفلة التي تتقاذفه أمواجها من مكان إلى آخر، فهو في ذلك دائم الانشغال بلذة تلهيه، أو مشكلة تنسيه.

تحتاج هذه العبادة إلى وقفة وتريث وإعمال للروح واللب والقلب معاً. ولا شك أن رمضان إذا صِيم الصيامَ الشرعي مِن أحسن الأحوال للسياحة في آفاق هذه العبادة الشريفة.

هذه العبادة هي: التفكر.

نعم، التفكر بمعناه الشامل في ملكوت الله وأمره، وتشريعه لخلقه، وفي مصالح العباد وطرق اجتلابها، وفي مفاسد المعاد وطرق اجتنابها.

أيها الصائمون، لقد دعا القرآن الكريم الإنسان إلى التفكر وإعمال النظر؛ لما في ذلك من آثار حسنة، وعوائد حميدة .

قال بعض العلماء: «كثر الحث في كتاب الله تعالى على التدبر والاعتبار والنظر والافتكار، ولا يخفى أن الفكر هو مفتاح الأنوار، ومبدأ الاستبصار وهو شبكة العلوم، ومصيدة المعارف والفهوم، وأكثر الناس قد عرفوا فضله

ورتبته، لكن جهلوا حقيقته وثمرته»(١).

إن من أحسن الأحوال التي تعين على التفكر: الصيام؛ وذلك أن التقليل من الطعام والشراب والشهوات، والإقبال على قراءة القرآن وكثرة الصلاة وغيرهما من سائر العبادات تصقل الروح، وتصفي العقل، وتطهر القلب. فإذا وصل الإنسان إلى هذه الحال من الصفاء والنقاء انطلق فكره واتقد ذهنه، وراح ينظر ما يدركه بالمشاهدة أو الحس أو السمع أو الخبر الصادق بعين التأمل؛ ليجني من وراء ذلك العظة والعبرة.

فيا أيها الصائم الكريم، تفكر في أسماء الله وصفاته في معانيها وآثارها في خلقه تعالى، انظر إلى حلم الله ﷻ ورحمته بعباده: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ۝٦١﴾ [النَّحل: ٦١].

وتفكر في علمه وقيوميته وإحاطته بكل شيء: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٥٩﴾ [الأنعام: ٥٩].

وتفكر في قوته وجبروته: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝٤٠﴾ [العَنكَبُوت: ٤٠].

وتفكر في عظمته؛ لتربي هيبته في قلبك؛ فتسعى لعبوديته، قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٦٧﴾ [الزُّمَر: ٦٧].

قال بشر بن الحارث الحافي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لو تفكر الناس في عظمة الله ما

---

(١) إحياء علوم الدين «٤/ ٤٢٣».

عصوا الله ﷻ».

وتفكر في شريعة الإسلام التي منَّ الله بها عليك، كيف أكملها وأتمها، ويسرها ورفع الحرج عنها، وكيف كانت مراعية لمصالح الخلق في كل زمان ومكان، شاملة لكل ما يهمهم، باقية قوية صامدة شامخة رغم شدة الحرب عليها والتآمر على مبادئها وأحكامها السماوية الخالدة، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]. وقال: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨].

تفكر -**أيها الصائم**- في خلق الله تعالى كيف خلقه وأبدعه، وأنشأه وصنعه ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النمل: ٨٨].

فانظر هذه الأرض كيف بسطها وسوّاها، وهذه السماء كيف رفعها وبناها، وهذه الجبال كيف ثبتها وأرساها، وهذه الأنهار كيف أنبعها وأجراها، وهذه البحار كيف مدّها ودحاها، والمواخر الجواري عليها كيف حفظها وأجراها إلى مهواها، والأرض الجدباء البور كيف أخصبها وأحياها، وأشجارها وثمراتها كيف تفاوتت -بقدرته- صنوفها وألوانها وطعومها!.

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران: ١٩٠ - ١٩١].

قال ابن عمير لعائشة رضي الله عنها: أخبرينا بأعجب شيء رأيته من رسول الله ﷺ، قال: فسكتت ثم قالت: لما كان ليلة من الليالي قال: « **يا عائشة، ذريني أتعبد الليلة لربي** » قلت: والله إني لأحب قربك وأحب ما سرك، قالت: فقام فتطهر ثم قام يصلي قالت: فلم يزل يبكي حتى بلّ حجره، قالت: ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بلّ لحيته، قالت: ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بل الأرض، فجاء

بلال يؤذنه بالصلاة، فلما رآه يبكي قال : يا رسول الله، لم تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم وما تأخر؟! قال : « **أفلا أكون عبدا شكورا، لقد نزلت علي الليلة آية ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها:** ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ » الآية [١].

ألم تقرأ -**أيها الصائم**- قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ [الغَاشِيَة : ١٧ - ٢٠].

أما نظرت إلى النحلة كيف هداها، والنملة كيف علّمها، والطير كيف حفظها في طيرانها ورزقها؛ ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [النَّحل : ٦٨]. وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [النَّمل : ١٨]. وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [النَّحل : ٧٩].

تأمل في نبـــات الأرض وانظـــــر	إلى آثـــار ما صـــنع المــــليك
عيون من لُجـــــين ناضـــرات	كأن حـــــداقها ذهـــب سبيك
على قضـــــب الزبرجـد مخبرات	بـــأن الله ليــــس له شـــريك

وقال الآخر:

فيا عجـــــباً كيف يُعصـــى الإله	أم كـيف يجحــده الجـــاحد
وفـي كل شـــــيء له شــاهـــد	يـــــدل على أنــه واحــــد

(١) رواه ابن حبان، وإسناده صحيح.

أيها الصائمون، ألا تفكرنا في نعم الله علينا، وسوابغ آلائه فينا، خلقنا فأحسن خلقنا، ومنَّ علينا بالهداية إلى الإسلام وأكرمنا، ورزقنا وسخر ما في الكون لنا.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾ [الانفطار: ٦ - ٨].

وقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ۝٧١ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ۝٧٢ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ۝٧٣﴾ [يس: ٧١ - ٧٣].

معشر الصائمين، هلا وقفنا وقفة تفكر صادقة، ونظرنا إلى هذه الدنيا التي نعيش فيها، وتأملنا في حقارتها وقلتها، وسرعة زوالها وتحولها، وكدر عيشها وتغير ما فيها، ماذا أخذ منها من دخلها عندما فارقها؟! ألم يأن للسكرى بشهواتها وهواها أن يصحوا ليعرفوا الحقيقة.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىَ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس ٢٤].

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: دخل عمر بن الخطاب على النبي ﷺ وهو على حصير قد أثّر في جنبه فقال: يا رسول الله، لو اتخذت فراشًا أوثر من هذا؟ فقال: «**يا عمر، مالي وللدنيا، وما للدنيا ولي، والذي نفسي بيده ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف فاستظل تحت شجرة**

ساعة من نهار ثم راح وتركها »[١].

بكى عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ يوماً بين أصحابه فسئل عن ذلك فقال: «فكرت في الدنيا ولذاتها وشهواتها فاعتبرت منها بها، ما تكاد شهواتها تنقضي حتى تكدرها مرارتها، ولئن لم يكن فيها عبرة لمن اعتبر، إن فيها مواعظ لمن ادكر».

قال بعض الشعراء:

إني رأيتُ عواقب الدنيا	فتركتُ ما أهوى لما أخشى
فكّرت في الدنيا وعالمها	فإذا جميع أمورها تفنى
وبلوت أكثر أهلها فإذا	كل امرئ في شأنه يسعى
أسنى منازلها وأرفعها	في العز أقربها من المهوى
تعفو مساويها محاسنها	لا فرق بين النعي والبشرى
ولقد مررت على القبور فما	ميزت بين العبد والمولى
أتُراك تدري كم رأيت من الـ	أحياء ثم رأيتهم موتى

وفي مقابل ذلك أما تفكرنا في الآخرة الدار الباقية، وتأملنا في دوامها وخلودها، وراحتها وسعودها، واستمرار طيبها ولذائذها، وذهاب الأحزان والعناء عند دخولها ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ٣٤﴾ [فَاطِر: ٣٤].

خيرها متصل، وعيشها مستقر ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٧١﴾ [الزُّخرُف: ٧١].

(١) رواه ابن حبان وأحمد، وهو صحيح.

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِيَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [العَنكَبُوت : ٦٤] .
وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « **يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح، فينادي مناد يا أهل الجنة، فيشرئبون وينظرون فيقول: هل تعرفون هذا ؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه . ثم ينادي يا أهل النار، فيشرئبون وينظرون فيقول: هل تعرفون هذا ؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه فيذبح . ثم يقول: يا أهل الجنة، خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت . ثم قرأ:** ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ [مَريم : ٣٩] ، **وَهَؤُلَاءِ فِي غَفْلَةٍ، أَهْلُ الدُّنْيَا** ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [مَريم : ٣٩] »[1].
ثم تفكر -**أيها المسلم**- في بضاعتك التي ستَقْدَم بها على الله تعالى، ماذا عملت، وكيف عملت؟ قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾ [البَقَرَة : ١٩٧] .
وقال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشُّعَرَاء : ٨٨ - ٨٩] .

أيها المسلمون، إن عبادة التفكر تدل المتفكر على طريق الجنة فيعمل لها قبل مفاجأة الموت. وقد لِيمَ لقمانُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى على الوحدة فقال للائمه: «إن طول الوحدة أفهم للفكر، وطول الفكر دليل على طريق الجنة».
وحين يتفكر الإنسان يدعوه ذلك إلى فعل الخيرات وترك المنكرات؛ لأنه علمَ بذلك أنه خُلق لغاية فلا بد من سعيه لها.
كتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز: «اعلم أن التفكر يدعو إلى الخير والعمل به، والندم على الشر يدعو إلى تركه، وليس ما يفنى- وإن كان كثيرا- يعدل ما يبقى، وإن كان طلبه عزيزا، واحتمال المئونة المنقطعة

---

(١) متفق عليه.

التي تعقب الراحة الطويلة خير من تعجيل راحة منقطعة تعقب مئونة باقية».

ألا رحم الله عبداً تفكّر قبل أن يُقبر، فساقه تفكره إلى إحسان العمل، وإصلاح الخلل، قبل حضور الأجل.

وتفكر في دنياه فلم يركن إليها، ولم يشغل قلبه بها، وتفكر في آخرته فأعد زاد النجاة، وبعث قلبه إليها فعاش في الدنيا غريباً بين أهلها؛ لأن دار أُنسه الحقيقية هي دار السلام بجوار الرب السلام.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد:

أيها الصائمون الفضلاء، فما زالت أيام رمضان ولياليه تتسارع وتتسابق، وأنفاس الصائمين الصادقين، والقائمين الخاشعين، والتالين المتدبرين؛ تتصاعد وتتلاحق؛ خوف الفوات والفراق.

ولكن تلك الأزمان الشريفة لا يزيدها مرور الوقت إلا شرفاً وحلاوة، فكلما تتقدم ازدادت حسناً وبهاء.

وإنا مع تسارع هذه اللحظات السعيدة قد أصبحنا على مشارف خير زمان في رمضان، وأسعد لحظات يعيشها الصائم القائم في شهر البركة والغفران، بل لعلها أبهى لحظات تمر عليه في العام.

وبهذا المضي يزداد الشهر ألقاً، ويفتح أمام الصائم المجدِّ من الخير والفضل أبواباً كثيرة. تمضي أيام رمضان كالفجر الذي يخرج كبصيص ضعيف ثم يكبر ويكبر حتى ينير الآفاق والدروب، فمن هذا التجدد الزمني المشرق يفيد الإنسانُ منه الجدَّ؛ فإنه كلما كبر صغر عمره، وقرب أجله، وضاقت مهلة حياته، ومن كان كذلك فليقصر الأمل، وليحسن العمل مع تقدم الزمن ومروره.

أيها الصائمون، في ختام شهر رمضان ليالٍ مباركة هي العشر الأخيرة من رمضان، التي كان رسول الله ﷺ يستعد له استعداداً خاصاً، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر أحيا الليل، وأيقظ أهله،

وجد وشد المئزر»[١].

وقد تميزت على العشرين السابقة بمزايا وخصائص تجعلها محل اهتمام المسلم الحريص على الخير والسبق إلى الفضل.

فمن فضائلها: مشروعية الاعتكاف في المساجد الجامعة؛ ليتفرغ فيها العبد الصائم لروحه وقلبه، بعيداً عن مشاغل الدنيا واهتماماتها.

وقد اعتكف رسول الله ﷺ وأصحابه من بعده؛ لنيل هذا الخير العظيم.

إن المعتكف يتأمل في هذه المدة اليسيرة في حاله ماذا قدم، وماذا سيقدم من الأعمال، فيتفكر في سالف أيامه: فإن كان محسناً يزد في إحسانه، ويعترف بتقصيره تجاه ربه.

وإن كان مسيئاً تضرع إلى الله تعالى ودعاه بغفران ذنبه، وستر عيبه، مع ندم صادق على زمان انقضى في التضييع والعصيان.

ويتفكر في مستقبل أيامه التي يكتنفها المجهول، فيعزم على الجد وترك التفريط والفتور، ويدعو الله تعالى بالتوفيق والسداد في القول والعمل.

فالاعتكاف فرصة للمراجعة والمحاسبة، وفرصة للتزود وشحذ الهمة الإيمانية، وطلب الصواب في قابل الأيام.

والاعتكاف فرصة لتعويض ما ضيع الصائم في أيام رمضان الأولى، فإن كان جرح صومه بمخالطة الناس فلم يسلم صومه من غيبة أو تعدٍّ فالاعتكاف مكان للسلامة والمداواة.

وإن كان فاته القيام فيما مضى فالاعتكاف يعينه على المحافظة على القيام فيما بقي.

وإن كان قد شُغل عن كثرة قراءة القرآن وتدبره فالاعتكاف ظرف كريم لما فاته من ذلك.

---

(١) متفق عليه.

أيها الصائمون، ومن مزايا هذه العشر الأخيرة وفضائلها: أن فيها ليلة شريفة القدر عظيمة الفضل، لا يُلقّى خيرها إلا ذو حظ عظيم من الصبر والجد والاجتهاد.

هذه الليلة ليلة أنزل الله فيها القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان.

في هذه الليلة تقدر الآجال، وتقسم الأرزاق للعام القابل، ويضاعف فيها العمل الصالح، وتنزل فيها ملائكة السماء إلى الأرض؛ لكثرة خير هذه الليلة وبركتها.

هذه الليلة هي ليلة القدر قال تعالى: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ۝٥ رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٦﴾ [الدُّخَان: ١ - ٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ۝٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ۝٤ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ۝٥﴾[القدر: ١ - ٥].

هذه الليلة غير معروفة الزمن تحديداً؛ حتى يجتهد الناس في العبادة. غير أنها في العشر الأواخر أقرب، وفي أوتارها أقرب، وفي السبع الأواخر أقرب.

قال رسول الله ﷺ: « **التمسوها في العشر الأواخر من رمضان، ليلة القدر في تاسعة تبقى، في سابعة تبقى، في خامسة تبقى** »(١).

ويستحب تحري هذه الليلة بكثرة العبادة، وتخصيصها بالدعاء الوارد عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: يا رسول الله، أرأيت إن وافقت ليلة القدر ما أدعو؟

(١)« » متفق عليه.

قال: « **تقولين: اللهم إنك عفو تحب العفو، فاعف عني**»[1].

فيـــا أيهـــا الصائمـــون، هــذا منهــل عــذبٌ فأيــن ورّاده، وزاد نافــع أيــن أهلــه وقُصّــاده، فيـا سـعدَ مـن ظفـر بخيـره، وغنـم فضلـه، فصـار مـن الفائزيـن، نسـأل الله أن يجعلنا منهم.

هذا وصلوا وسلموا على خير البرية.....

(١) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه والنسائي والحاكم، وهو صحيح.



رمضان والجهاد(١)

الحمد لله الذي أعز من أطاعه واتقاه، وأذل من خالفه وعصاه، مكّن لمن نصر دينه ووالاه، وقهر من حارب شرعه وعاداه، وأشهد أن لا إله إلا الله، لا معبود لنا غيره، ولا رب لنا سواه، وأشهد أن محمد بن عبد الله نبيه ومجتباه وخليله ومصطفاه، بلغ الرسالة وأدى الأمانة وجاهد في الله حق جهاده حتى توفاه الله.

صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه ومن اقتفى أثره وسلك منهجه واتبع هداه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عِمران : ١٠٢] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النِّساء : ١] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأَحزَاب : ٧٠ - ٧١] .

أما بعد:

(١) ألقيت في مسجد ابن الامير الصنعاني في يوم ١٧/ رمضان/ ١٤٣٤هـ ٢٦/ ٧/ ٢٠١٣م.

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي رسول الله ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الصائمون، في مثل هذا اليوم المبارك يوم الجمعة السابع عشر من رمضان قبل عام ألف وأربعمائة واثنين وثلاثين للهجرة النبوية حدث حدثٌ عظيم هز جزيرة العرب، وغير مجرى التاريخ، وقلب موازين القوى، ولفت انتباه الناس إلى أن الأمور لا تبقى دائماً على ما هي عليه من الظاهر، وأن هناك قوى وأموراً تخفيها سُجف الغيب عن نظر البشر القاصر تنتظر الميلاد؛ لتخرج من أرحام الغيوب إلى عالم الشهادة؛ فتحول عجلة الزمان إلى طريق أخرى.

فيعز ذليل، ويكثر قليل، ويقوى ضعيف، ويضعف قوي، وينتصر مظلوم، ويقهر ظالم، إن في ذلك لعبرة لأولي الألباب ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران: ٢٦].

هذا الحدث الكبير كان نكسة كبيرة لرؤوس الظلم والجبروت والفخر والخيلاء، خسر الباطل فيه بعض زعمائه، وأضاع فيه الغرور عصبة من كبرائه، خرجوا بطراً ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط.

في هذا اليوم من ذلك الزمان أركب الشيطان ثلة من أوليائه مراكب الهلكة، وهم يحسبون أنهم خارجون إلى نزهة مع الهوى، ثم يؤوبون قافلين منصورين ظافرين، وذلك حين ﴿زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾

[الأنفال : ٤٨] .

أمة الإسلام، في هذا اليوم الأغر في مدينة رسول الله ﷺ في شهر رمضان من العام الثاني للهجرة عند ماء يسمى بدراً التقى معسكر الإيمان: المهاجرون والأنصار بمعسكر الطغيان: مشركي قريش عبدة الأوثان، فتقابل الحق والباطل، والخير والشر، والنور والظلام، والإسلام والكفر، فكان آية من آيات الله تعالى ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ۝١٣﴾ [آل عِمرَان : ١٣] .

أيها المسلمون، إن يوم بدر يوم مشرق في تاريخ الإسلام، أضاء للمسلمين طريق العزة، وفسح الدرب أمام موكب الدعوة الحقة؛ لتنطلق فتفتح الأبواب الموصدة تجاه النور الساطع؛ ليملأ الآفاق والسبل ﴿يَهْدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝١٦﴾ [المَائدَة : ١٦] .

لقد كان يوم بدر يوماً أراده الله تعالى، وإن لم يستعد له جند الإسلام الاستعداد التام، هم أرادوا العير، والله أراد النفير، فكان الخير فيما أراده العليم الخبير.

﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥ يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ۝٦ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧﴾

[الأنفال : ٥ - ٧] .

كان ذلك اليوم الميمون موعداً اجتمع فيه جند الحق من السماء والأرض لمقارعة جند الباطل الذي صلب عود كبريائه، واشتد حبل إيذائه للفئة

المؤمنة، ووقف حجر عثرة أمام النفوس الظامئة لزمزم الإيمان، فلما بلغ السيل الزبُا، ووصلت الغطرسة المدى، وجاءت بحدها وحديدها تحاد الله ورسوله لتطفأ جذوة الهدى جاء نصر الله على حاجة ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأنفال : ١٢].

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَـٰثَةِ ءَالَـٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَـٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَـٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾﴾ [آل عِمرَان : ١٢٣ - ١٢٦].

أيها الصائمون، في هذه المعركة المقدسة واجهت الفئةُ المؤمنة الفئةَ القرشية الكافرة بجلد وثبات، وعزم لا تخبو جذوته، وعشق للموت لم تعرف له قريش مثيلاً. فانتهت معركة الفرقان بهزيمة ساحقة تجرعها الكفر وساغها، وجاءه الموت من كل مكان على يد ثلة قليلة العدد والعدة، ولكنه الإيمان الذي يصنع العجائب.

خلفت المعركة وراءها سبعين قتيلا، وسبعين أسيراً من المشركين، كان لصناديدهم وكبار أشقيائهم نصيب وافر ما بين قتيل وأسير. ليعذبهم الله بأيدي المؤمنين وينصرهم عليهم ويشفي صدورهم، ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم.

لترتفع بعد ذلك راية الإسلام خفاقة في السماء، وتنكس أعلام الشرك والنفاق واليهودية المحرفة، وليموت أهل الباطل كمداً وغيظاً: ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ

ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡ يَكۡبِتَهُمۡ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾ [آل عِمرَان : ١٢٧] .

أيها المسلمون، إن شهر رمضان شهر الجد والعمل، وليس شهر العجز والكسل؛ فهو في تاريخنا العريق شهر الفتوحات والملاحم.

فبعد غزوة بدر التي كانت في رمضان جاءت فتوحات أخرى للمسلمين في رمضان أيضا.

ففي رمضان من العام الثامن للهجرة فتحت مكة المكرمة، وطُهرت من رجس الوثنية، وكان ذلك منطلق النصر إلى ما بعده من الانتصارات.

وفي رمضان من العام الثاني والتسعين من الهجرة فتح المسلمون بلاد الأندلس التي قامت فيها حضارة إسلامية دانت لها الدنيا آنذاك.

وفي رمضان من العام الثالث والثلاثين بعد المئتين من الهجرة فتح المسلمون مدينة عمورية ، أيام حكم الخلافة العباسية.

وفي رمضان من العام السادس والستين بعد الستمائة من الهجرة انتصر المسلمون على الروم في أنطاكية.

وفي رمضان من السنة الثامنة والستين بعد الستمائة من الهجرة نصر الله المسلمين على التتار في معركة عين جالوت الشهيرة التي كانت سداً منيعاً أمام عزم التتار على اكتساح بلاد المسلمين وإذلالهم.

أيها الصائمون، إن عدو الإسلام والمسلمين لا يكبح جماح بطشه واعتدائه إلا قوةٌ تواجهه، وجهاد يوقف مدَّ ظلمه وصده عن الحق. ولا يمكن أن يكون الذل وتقديم التنازلات الدينية والدنيوية سبيلاً إلى احترام المسلمين ومنع الصيالة عليهم، و الكف عن تدنيس مقدساتهم وكرامتهم، وهضم حقوقهم بين الناس.

فلا حل لإزالة سطوة القوة الظالمة إلا مواجهتها بالقوة العادلة، ولا رد لتيارات الإذلال الهادرة إلا موانع من العزة والكبرياء التي لا تعرف الوهن،

أما من استمرئ القهر فلا يبالي.

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت إيلام

عباد الله، إن المسلمين الأوائل الذين ذاقوا طعم العزة لم يصلوا إليها إلا بعد كفاح ومهر غال بذلوه من دمائهم وممتلكات دنياهم، فهابهم العدو في عقر داره، ودفع الجزية عن يد وهو صاغر وهم في عقر دارهم، ولو أحبوا الدنيا كما أحبها كثير ممن تلاهم، وكرهوا المنايا في سبل الحق كما كرهها من وراءهم لصارت الأحوال متشابهة.

قال رسول الله ﷺ : «**يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الآكلة على قصعتها**»، قال: قلنا: يا رسول الله، أمن قلة بنا يومئذ؟ قال: «**أنتم يومئذ كثير، ولكن تكونون غثاء كغثاء السيل، ينتزع المهابة من قلوب عدوكم، ويجعل في قلوبكم الوهن**»، قال: قلنا: وما الوهن؟ قال: «**حب الحياة وكراهية الموت**»[١].

أيها المسلمون، إن الله تعالى شرع الجهاد في سبيله حفظاً للملة، وذياداً عن النفوس والأعراض والأموال والحقوق المعصومة، وسن فيه قوانين عادلة تمنع من الجور مع العدو المحارب؛ ولذلك لا يوجد في الأرض كلها-و النصوص الشرعية والتاريخية تشهد - حروب أعدل من حروب المسلمين المجاهدين الصادقين للكافرين المحاربين.

فليس في الجهاد الصادق للكافرين المحاربين للدين والعرض والأرض-في زمانه ووقته المناسبين- إرهاب ولا منكر، بل ذلك عين العدل الذي يحكم

(١) رواه أحمد والبيهقي والطبراني، وهو حسن.

به العقل الصحيح والدين الصريح.

قال الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الأنفال: ٦٠].

أيها المسلمون، إن عبادة الجهاد في سبيل الله تعالى من أعظم العبادات؛ فهي ذروة سنام الإسلام، وعمل من أعظم الأعمال، بل لا عمل في الإسلام يعدل الجهاد في سبيل الله تعالى، فقد سئل رسول الله ﷺ أي العمل أفضل؟ فقال: «**إيمان بالله ورسوله**». قيل: ثم ماذا ؟ قال: « **الجهاد في سبيل الله**» . قيل: ثم ماذا ؟ قال: « **حج مبرور** »(١).

وقيل للنبي ﷺ : ما يعدل الجهاد في سبيل الله ﻷ؟ قال: «**لا تستطيعونه**». قال: فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثًا ،كل ذلك يقول: « **لا تستطيعونه** ». وقال: في الثالثة: « **مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صيام ولا صلاة حتى يرجع المجاهد في سبيل الله تعالى إلى أهله** »(٢).

وأما أهله المخلصون فيه فهم في أعلى المراتب وأسمى المقامات؛ فقد قال تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾ [النِّساء: ٩٥ - ٩٦].

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

وأما الفائزون بالشهادة في سبيل الله فلهم من الكرامة والجزاء الحسن خير عظيم، فمن ذلك أن لهم حياة خاصة في البرزخ دون بقية الناس، وفرحاً واستبشاراً بما نالهم من النعيم الكبير، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ قُلْ فَٱدْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [آل عِمران: ١٦٨ - ١٧٠].

إن الشهيد حين يرى إكرام الله تعالى له يحب أن يرجع إلى الدنيا؛ ليقاتل في سبيل الله فيقتل، قال النبي ﷺ: **«ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات؛ لما يرى من الكرامة »**[(١)].

أيها المسلمون، إن الأمة الإسلامية في العصور المتأخرة أصيبت بالانحطاط والهزيمة من أعدائها، ومن أسباب ذلك: ترك الجهاد في سبيل الله تعالى، قال رسول الله ﷺ : **«إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم»**[(٢)].

ولا يخيف أعداءَ الدين كلمةٌ أشد عليهم من كلمة الجهاد في سبيل الله تعالى؛ لأنهم يعلمون ما معناها وما وراءها.

لفظ الجهاد على الكفار صاعقة والله أكبر في آذانهم صرُّ

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه البيهقي وأحمد وأبو داود، وهو صحيح.

والله أكبر هـزت ظلمهم وسـرى إلى قلوبهـم الإرعـاب والذعـرُ
لولا الجـهاد لما قامـت مآذننا في أي أرض ولا أضحـى لنا ذِكْرُ

أيها المسلمون، إن الجهاد في سبيل الله تعالى ليس محصوراً في ميدان القتال فحسب، بل هو أوسع من ذلك، فهناك الجهاد بالمال من أجل نصرة هذا الدين، وهناك الجهاد بالكلمة نشراً للإسلام، ودفاعاً عنه، ورد الشبهات عن حماه، وهناك غير ذلك مما فيه نصر وإعزاز للإسلام والمسلمين.

أسأل الله تعالى أن يرفع راية الإسلام على كل الرايات، وأن يجمع كلمة المسلمين على الحق.

قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين،

أما بعد:

أيها الصائمون، إن حياة المسلم الصادق كلها جهاد ومراغمة ومصابرة لأعداء الحق ، وهذا جزء من تكاليف العبودية. و الجهاد بالسلاح والكلمة قد لا يتيسر لكل مسلم؛ ولذلك هناك مجالات أخرى للجهاد يشترك فيها جميع المسلمين؛ فعدم الاستجابة لدواعي الهوى والشيطان والنفس الأمارة بالسوء هو الجهاد الأكبر الذي يتولد عنه الجهاد في ميدان القتال وميدان كلمة الحق، فمن لم يجاهد نفسه وهواه-وهما العدو الداخلي- لن يستطيع أن يجاهد الكفرة والمنافقين، وهم العدو الخارجي.

قال رسول الله ﷺ:«**المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله، و المهاجر من هجر الخطايا و الذنوب**»[(١)] .

أيها الصائمون، نحن في شهر عظيم لمجاهدة النفس، فالقيام بفريضة الصيام، والمسابقة إلى الإكثار من الصلاة والصدقة والقراءة والقيام وسائر الطاعات هو من المجاهدة.

لأن لزوم الطاعات فرضها ونفلها ثقيل على النفس يحتاج وقتاً طويلاً للانتصار فيه عليها، قال بعض السلف: «جاهدت نفسي أربعين سنة حتى استقامت».

لكن حين تُربى النفس على فعل الطاعات وتجاهد على الاستمرار عليها تصير لها سجية، وأنساً لا تستطيع الراحة إلا معه؛ قال أحد الصالحين:

---

(١) رواه أحمد والبيهقي والطبراني والترمذي وابن حبان، وهو صحيح.

«جاهدت نفسي في قيام الليل عامًا فذقت حلاوته عشرين عاما».

ومـن مجاهـدة النفـس في رمضـان: أن يحافظ الصائم على صيامه من ركوب الخطايا القولية والفعلية، فيعود نفسه على القول الحسن، والاستماع المباح، ويبعد نظره ويده وخطاه عن كل ما حرمه الله عليه.

وهذه المجاهدة لعلها أشق من الأولى؛ لأن فعل الأوامر قد يوافق رغبة داخلية في الإنسان، وقد تكون تلك الأوامر محدودة القدر والزمن، بخلاف بعض المعاصي التي تركها صعب على النفوس؛ لأن دواعي المعصية وجواذبها كثيرة.

فيا سعد من جاهد نفسه، وانتصر عليها حتى ألزمها طريق الاستقامة، وصار لها قائداً إلى مسالك الهدى والرشاد.

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[العنكبوت٦٩].

هذا وصلوا وسلموا على النبي المختار...



رمضان والدعاء[1]

الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، وعلم دعوات عباده مع اختلاف اللغات، بيده قضاء الحاجات، وكشف المكروهات، ونيل الأمنيات، سميع قريب، رحيم مجيب، في جميع الأحوال والأوقات.

وأشهد إلا إله إلا الله وحده لا شريك له، مغيث المستغيثين، ومجيب دعوة المضطرين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، خير الداعين، وسيد المتضرعين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾

[آل عِمرَان : ١٠٢] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النِّسَاء : ١] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾

[الأَحزَاب : ٧٠ - ٧١] .

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد رسول الله

(١) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في ١٢/ رمضان/ ١٤٣٢هـ

ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الصائمون الأفاضل، فما زالت عطايا الرب الكريم في الشهر الكريم تتوالى وتتحبب لأهل الطاعة؛ علها تجد لديهم همة عالية وعزمة صالحة تُقبِل بهم إلى معين تلك العطيات السَّنية؛ ليغسلوا أرواحهم، ويطهروا قلوبهم؛ لتصفو-بعد ذلك- دنياهم وأخراهم.

ألا وإن من تلك التحف الثمينة التي يجدها الصائم في هذا الشهر الخيّر: استجابة الدعاء.

عباد الله، لقد قرن الله تعالى الدعاء بالصيام عندما تحدث عن آيات الصيام؛ ليعلمنا أن للدعاء شأناً عظيماً في رمضان، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البَقَرَة: ١٨٦].

فالروح في رمضان تسمو وتُقبِل، والقلب يرق ويخشع، والعين تبكي وتدمع، والنفس والهوى ووساوس الشيطان تقيم في هوة الانكسار والفتور.

فعندما يصل الصائم إلى هذه الحال من الاستقامة والإخبات بحيث اكتست جوارحه بالعمل الصالح والاستجابة والانقياد لربه يكون إقباله على الدعاء بقوة يقين، وذل وإلحاح شديدين بين يدي ربه، فيغدو عند ذلك مسموع الدعوة، قريب الإجابة.

قال رسول الله ﷺ: «**ثلاث دعوات لا ترد: دعوة الوالد، ودعوة الصائم، ودعوة المسافر**»[(١)].

أيها المسلمون، إن ربنا تبارك وتعالى يدعونا إلى دعائه، وعرض حاجاتنا بين يديه، فيقول جل وعلا: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴿٦٠﴾﴾ [غَافِر: ٦٠]. أي كرم

---

(١) رواه البيهقي، وهو صحيح.

هذا! يحثنا على دعائه ويعدنا الإجابة! فأين الداعون المستجيبون لربهم وهو يندبهم إلى الدعاء ويتفضل عليهم بالإجابة؟.

إن الدعاء -**معشر الصائمين**- يُظهر عبودية العبد لربه، ويعرف الإنسان بأنه مخلوق فقير لخالق غني، وأنه محتاج يطلب كفايته من سيده القادر الكريم. وذلك حين يرفع يديه إليه في ذل وانكسار، وخشوع ورجاء، ويقول: يا رب يا رب، عندها يشعر بعزة عبوديته لله، ولذة مناجاته والإلحاح عليه، ويجد أُنس النفس بالاقتراب من ربه الرحيم، وانشراح الصدر ببث ما فيه إلى سيده العظيم.

ما أحسنَ تلك اللحظات -**أيها الصائم الكريم**- وأنت تناجي مولاك، وتبثه شكواك، وتطلبه حاجاتك، وتنزل به-وحده- طَلِباتك، ولم تسألها من البشر، بل خصصت ربك بطلبها؛ فهو القدير الغني الذي يكفي ويقضي حاجات عباده المنكسرين بين يديه ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النَّمل: ٦٢].

وقال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل: «**يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر**»[١].

لا تسألن بني آدم حاجة	وسل الذي أبوابه لا تحجب
الرب يغضب إن تركت سؤاله	وبُنيُّ آدم حين يُسأل يغضب

أيها الأحبة الكرام، لماذا لجأ الناس إلى الناس وتركوا رب الناس؟! لماذا

---

(١) رواه مسلم.

كثر التذلل بين أيدي الخلق ولم يكن ذلك بين يدي الخالق؟! لماذا بحث البشر عن الحلول لمشكلاتهم في الأرض ولم يبحثوا عن حلها في السماء؟! أما تشاهدون ذلك واقعاً في حياتنا-نحن المسلمين؟

أمِن العقل والحكمة أن يُدعى العاجز والقادر موجود، ويستغاث بالضعيف والقوي ينتظر من يدعوه، ويُستمنح البخيلُ والكريم باذل لمن يأتيه ما يرجوه؟ أليس الله أرحم وأكرم أن يُدعى ويُسأل دون غيره!.

وإذا ابتُلِيتَ بمِحْنةَ فالبس لها ... ثوبَ السكوتِ فإن ذلك أسلمُ
لا تشكوَنّ إلى العباد فإنما ... تشكو الرحيمَ إلى الذي لا يَرْحَم

أيها الصائمون، إن الدعاء عبادة عظيمة تحمل معها دلالات واضحة على صفات المدعو سبحانه وتعالى:

فالدعاء يدل على وجود الله تعالى؛ لأن الغائب لا يدعى.

وعلى قدرة الله؛ فالعاجز لا يُسأل.

وعلى قوة الله؛ فالضعيف لا يُرجى.

وعلى غنى الله؛ فالفقير لا يطلب.

وعلى سمع الله؛ فالأصم لا ينادى.

وعلى علم الله؛ فالجاهل لا يغني شيئاً.

وعلى كرم الله؛ فالشحيح لا يُسأل.

وعلى رحمة الله ﷻ؛ فالغليظ الجافي لا يطلب فضله وخيره.

عباد الله، لا يظنن ظان أنه إن دعا الله تعالى ولم ينل إجابة سريعة أنه قد خسر، كلا، بل أبشر أيها المسلم الداعي، فهناك خير كثير ينتظر الداعي المخلص وإن لم يحصل على مطلبه العاجل. قال النبي ﷺ : «**ما**

من مسلم يدعو الله بدعوة ليس فيها مأثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه إحدى ثلاث : إما أن يستجيب له دعوته، أو يصرف عنه من السوء مثلها، أو يدخر له من الأجر مثلها» قالوا : يا رسول الله، إذاً نكثر قال : **«الله أكثر»**[١].

فماذا فاتك أيها الداعي؟ فرب شر صُرف عنك وأنت لا تدري أن الدعاء كان سبب ذلك، وكم من خير قد يكتنز لك ليوم الحاجة الكبرى بدعواتك، فلا تمل من الدعاء فأنت كاسب على كل حال، وأما من استحسر عن الدعاء استعجالاً للإجابة فهو الخاسر حقاً.

قال النبي ﷺ : **«لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم، ما لم يستعجل»** قيل: يا رسول الله، ما الاستعجال؟ قال: **« يقول: قد دعوت، وقد دعوت فلم أر يستجيب لي، فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء»**[٢].

أيها المسلمون، إن الحياة الدنيا مشوبة بالأكدار والآلام، والأوجاع والأسقام، والشدائد والمصائب، والكروب والأحزان، فقر وديون، أمراض وذل، حروب وفتن، اضطراب وقلق، عقم وعنوسة، مع حاجات مستمرة، وأمانٍ غير منقطعة.

ثمانية لا بد منها على الفتى ... ولابد أن تجري عليه الثمانيهْ

سرور وبؤس واجتماع وفرقة ... وعسر ويسر ثم سقم وعافيهْ

من لهذه التحديات الحياتية الكبيرة؟ هل يستطيع هذا الإنسان الذي

(١) رواه أحمد والحاكم، وهو صحيح الإسناد.

(٢) رواه مسلم.

يحيط به النقص من كل جانب أن يتنصر عليها وحده؟ إذا ظن بنفسه -دون عون ربه- القدرة عليها فقد خذل وذهب في كل مهلك.

إذا لم يكن عون من الله للفتى فأول ما يقضي عليه اجتهادهُ

إن المسلم الصادق يستطيع التغلب على هذه المعضلات والخروج بالظفر منها إذا لجأ إلى الله تعالى وتضرع بيقين بين يديه.

وكم في التاريخ والواقع من نماذج تبرهن على هذا.

فأنبياء الله تعالى ورسله عليهم الصلاة والسلام واجهوا كروباً وشدائد خاصة وعامة فكان الدعاء سبيلهم السالك إلى كشف تلك البليات.

فهذا نوح عليه السلام آذاه قومه وتهددوه وسخروا منه ولم يستجيبوا لدعوته بعد ذلك العمر المديد في دعوتهم، حينها طرق نبي الله نوح باب الدعاء فكانت النجاة والغلبة له ولمن تبعه على قومهم الكافرين.

قال تعالى: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَـٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الأنبياء: ٧٦ - ٧٧].

وذاك يعقوب عليه السلام الذي فقدَ أحب أولاده إلى قلبه الأول ثم الثاني مدة من الزمن، فوكل أمره إلى السميع القريب سبحانه وتعالى ودعاه فاستجاب الله تعالى له، فقال: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [يوسف: ٨٦]. وقال تعالى: ﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَـٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَـٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ

أَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [يوسف: ٩٣ - ٩٦].

وموسى عليه السلام حين خرج إلى مدين وسقى للمرأتين شياههما اشتد عليه الجوع فلم يسأل أحداً، وإنما سأل الله تعالى، فقال: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ﴿٢٤﴾﴾ [القصص: ٢٤].

وأيوب عليه السلام اشتد مرضه وطال سقمه، فرفع أمره إلى ربه جل وعلا فقال تعالى: ﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنبياء: ٨٣ - ٨٤].

ويونس عليه السلام لما أمسى حبيس بطن الحوت في قاع البحر في ظلمة الليل دعا ربه في تلك الظلمات قال تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء: ٨٧ - ٨٨].

وزكريا عليه السلام عندما امتد عقمه، وطال عمره، واشتد شوقه إلى ولد يؤنسه ويرثه من بعده على بني إسرائيل لجأ إلى كشاف الكروب والقادر على تحقيق المرغوب، فقال تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٨٩ - ٩٠].

ونبينا محمد عليه الصلاة والسلام قد دعا الله تعالى وتضرع بين يديه في الرغب والرهب كثيراً، فدعا لنفسه، ولأصحابه ولآل بيته، ولأمته، وأمثلة ذلك عديدة.

ففي بدر دعا فقال: «**اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض**»[١].

وعن عبد الله بن أبي أوفى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: دعا رسول الله ﷺ على الأحزاب فقال: «**اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم**»[٢].

وفي أيام حكم المأمون في الخلافة العباسية تبنى هذا الحاكم امتحان الناس بالقول بخلق القرآن، فمن استجاب له تركه، ومن خالفه كان مصيره القتل أو السجن والتعذيب، وكان من بين من أبى الاستجابة لدعواه الباطلة الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ فأمر بسجنه وتعذيبه، ثم أمر بالإتيان به إليه؛ لكي يكون آخر الأمر أن يُقتل بين يديه، وكان قد جهز له سيفاً صلتاً يقتله به، فدعا الإمام أحمد ربه أن يكفيه شر هذا الطاغية، فاستجاب الله دعوته، فأتى الناعي بموت المأمون وأحمد في الطريق فأعيد إلى السجن ولم يقتل.

وهذا رجل كانت زوجته تعاني من أكياس دهنية في الرحم فقررت لها الطبيبة عملية جراحية عاجلة، فحار الرجل؛ لأنه لا يجد المال الكافي لتلك العملية، فدعا الله تعالى واستمر في رقية زوجته مدة شهرين كاملين، ثم أعاد الفحص مرة أخرى عند الطبيبة نفسها، فلم تجد شيئاً من تلك الأكياس، فتعجبت الطبيبة وسألت المرأة: أين أجريتم العملية؛ لأنها لم تجد تلك الأكياس؟ فقالت المرأة: إنه الدعاء والرقية الشرعية.

ولرب نازلة يضيق بها الفتى ذرعاً وعند الله منها المخرج

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

ضـاقت فلما استحـكمت حلقاتها فُرِجت وكنت أظنـــها لا تفــــرج

أيهــا الصائمــون، فـي هـذه الأيـام المباركـة ألحـوا علـى اللـه تعالـى بالدعـاء والسؤال لأنفسكم وأهاليكم وأولادكم وللأمة الإسلامية جمعاء.

فمـا أحوجنـا - فـي هـذه الأيـام إلـى الدعـاء-! كثـرت الفتـن، واشـتدت عُقـد الحياة، وضاقت معايش النـاس، وتواتـرت المصائـب الخاصـة والعامـة مـن كل جانـب، وفـي خضـم هـذه الظلمـات لا ينجـي الإنسـان المسـلم إلا رجوعـه إلـى ربه ودعاؤه وابتهاله واليقين بأن الفرج من عنده.

نظـر النـاس يمينـاً وشـمالاً والتفتـوا إلـى كل وجهـة يظنـون وجـود الحلـول هنـاك لكنهـم لـم يجـدوا، أفمـا كان الأولـى بالمسـلمين أن يقصـدوا بـاب الكريـم سـبحانه وتعالـى صادقيـن فيدعـوه واثقيـن، ويمـدوا أيديهـم إليـه مسـتغيثين طالبيـن، فلـو فعلـوا لمـا خابـوا؛ فاللـه سـميع مجيـب، ولكـن أيـن الأدعية الصادقة والأيدي الصالحة المرفوعة؟

قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم.



الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، **أما بعد:**

أيها الصائمون، قال العرب: السيف بضاربه، وقالوا أيضاً:

إن السيوف مع الذين قلوبهم كقلوبهن إذا التقى الجمعان
تلقى الحسامَ على جراءة حدِّه مثل الجبان بكف كل جبان

وكذلك الدعاء؛ فإنه يحتاج إلى داع اجتمعت فيه وفي دعائه أسباب الإجابة؛ فإن دعاء الله تعالى عبادة لا بد فيها من شروط وآداب حتى ينيل الله صاحبها ما يريد.

فمن آداب الداعي: أن يكون مخلصاً في دعائه، ولو كان الدعاء خفياً بينه وبين ربه فذاك أقرب إلى الإخلاص، وأن يكون واثقاً بالله وأنه لا يقضي حاجته إلا هو، وعلى قدر يقينه تكون إجابته.

وأن يكون حاضر القلب، بعيداً عن الغفلة أثناء دعائه، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**القلوب أوعية وبعضها أوعى من بعض، فإذا سألتم الله عز وجل -يا أيها الناس- فاسألوه وأنتم موقنون بالإجابة؛ فإن الله لا يستجيب لعبد دعاه عن ظهر قلب غافل**»[1].

وأن يكون آكلاً للحلال بعيداً عن الحرام، فعن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**أيها الناس، إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال:** ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَـٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا

(١)« » رواه أحمد بإسناد جيد.

تَعۡمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ [المؤمنون: ٥١]، **وقال** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ [البقرة: ١٧٢]. **ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء يا رب، يا رب، ومطعمه حرام ومشربه حرام، وملبسه حرام وغذى بالحرام فأنى يستجاب لذلك! »**[١].

وأن يكون من أهل الدعاء في السراء والضراء، قال سلمان الفارسي رضي الله عنه: «إذا كان الرجل يدعو الله في السراء فنزلت به الضراء فيدعو فتقول الملائكة: صوت معروف من آدمي ضعيف كان يدعو في السراء فيشفعون له، و إذا كان الرجل لا يدعو الله في السراء فنزلت به الضراء فدعا فيقول الملائكة صوت منكر من آدمي ضعيف كان لا يدعو الله في السراء فنزلت به الضراء، فلا يشفعون له»[٢].

ويا حبذا لو كان الداعي متوضئاً، متجهاً نحو القبلة، مثنياً على الله تعالى بما هو أهله قبل دعائه، رافعاً يديه إلى الله تعالى، فعن سلمان عن النبي ﷺ قال: «**إن ربكم حيي كريم، يستحي من عبده أن يرفع إليه يديه فيردهما صفرا أو قال: خائبتين**»[٣].

أيها الأحباب الكرام، وأما الدعاء فلا بد أن يكون مباحاً، ليس فيه ما محظور في الشرع، قال النبي ﷺ: «**لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم**»[٤]. والإثم يشمل كل دعاء يجر إلى الذنب، والقطيعة تشمل كل دعاء فيه ظلم للمسلمين من الأقارب أو الأباعد.

ويا حبذا لو اختار جوامع الدعاء في دعائه، وجوامع الدعاء: هي الأدعية

---

(١) رواه مسلم.

(٢) شعب الإيمان «٢/ ٣٨٣»، مصنف ابن أبي شيبة «٧/ ١٢١».

(٣) رواه ابن ماجه والبيهقي، وهو صحيح.

(٤) رواه مسلم.

التي تتضمن خيري الدنيا والآخرة، ومنها -مما دعا به رسول الله ﷺ-: **ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار**، وكذلك: **اللهم أصلح لي ديني الذى هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، واجعل الموت راحة لي من كل شر.**

وأن يختار الأوقات المناسبة لإجابة الدعاء ومنها: نهار الصيام وعند فطره، والساعة الأخيرة من يوم الجمعة، وفي السجود، وفي الثلث الأخير من الليل ومنه عندما يقوم للسحور ، وبين الأذان والإقامة، غير ذلك .

فيا أيها الصائمون، الدعاء الدعاء؛ فأنتم في زمن يتفضل الله تعالى فيه على عباده الصالحين، ويكرم فيه الصائمين المخلصين؛ فكونوا من أهل المسارعة في الطاعة، والإلحاح في الدعاء؛ فإنه من أعظم الطاعات، وأجلِّ القربات، فادعوا تفوزوا بسعادة الدنيا والآخرة.

فاللهم إنا نسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمنا منه وما لم نعلم، ونعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمنا منه وما لم نعلم، ونسألك من خير ما سألك منه عبدك ورسولك محمد، ونعوذ بك من شر ما استعاذ منه عبدك ورسولك محمد، ونسألك صلاح الدين والدنيا والآخرة، يا كريم.

ثم صلوا وسلموا على من أمرتم بالصلاة والسلام عليه....



رمضان والقرآن[1]

الحمد لله الذي جعل القرآن مناراً للمهتدين، وضياءً للسالكين، ومعجزة باقية إلى يوم الدين؛ لا يعتريه النقص والتبديل، ولا التحريف والتغيير، محفوظ بحفظ الله الذي أنزله ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحِجر: ٩].

لا يَخلق مع كثرة ترداده، ولا ينضب مَعينُه باستقاء ورّاده، ولا تفنى جواهره بازدياد غائصيه؛ فما زال البحرَ الذي لا ساحل له، والغيثَ الذي لا تحصى قطراته، والنور الذي لا أمَد لهداياته، فمن سأل عن الشفاء فيه وجده، ومن استرشد به أرشده، ومن تدبره وعقلَه فما نسي حلاوته، ولا هجر تلاوته ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝١٦﴾ [المَائِدَة: ١٦].

وما ذاك إلا لأنه تنزيل رب العالمين، نزل به الروح الأمين على سيد المرسلين؛ ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢﴾ [فُصِّلَت: ٤٢].

والصلاة والسلام على النعمة المسداة، والقدوة المهداة الذي بعثه الله تعالى على فترة من الرسل، وانقطاع من السبل، فكان فجراً ظهر في الآفاق بعد الليل الدامس، ليكسو البسيطة بضيائه وسنائه، ويتلو على الكون الحائر هدى ربه

(١) ألقيت في مسجد ابن تيمية يوم ١٢/ رمضان/ ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨/٩/١٢م.

ﷻ؛ ليتضح للوجود الصراط المستقيم ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾﴾ [الإسراء: ٩]
فصلى الله عليه وعلى آله الطيبين، وصحابته الأكرمين، وزوجاته الطاهرات أمهات المؤمنين، وسلم تسليماً.

أما بعد:

أيها الصائمون الأخيار، حديثنا في هذا اليوم المبارك عن خير الحديث، وكلامنا فيه عن خير الكلام الذي لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا.

﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الزُّمَر: ٢٣].

إنه الكلام الذي أعيى الفصحاء، وأعجز البلغاء، وأخرس الخطباء، ولم يكن بنظم شاعر، ولا سجع كاهن ، ولا بقول إنس ولا جن.

له حلاوة وعليه طلاوة، أسفله مغدق وأعلاه مثمر. إنه القرآن الكريم، كلام رب العالمين، وحبل الله المتين، و النور المبين، والذكر الحكيم، والصراط المستقيم، فيه خبر من قبلكم، ونبأ من بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، والدواء الشافي، والعصمة لمن تمسك به، والنجاة لمن اتبعه.

أيها المسلمون، إن هذا القرآن حياة الأرواح من موت الكفر والعصيان والقسوة، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشُّورَى: ٥٢]. وهو نافع لقارئه في الدنيا والآخرة، شافع مشفع، وماحل مصدق، من جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه

إلى النار.

قال رسول الله ﷺ: «**اقرؤوا القرآن؛ فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه، اقرؤوا الزهراوين: البقرة وسورة آل عمران؛ فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان أو كأنهما فرقان من طير صواف، تحاجان عن أصحابهما، اقرؤوا سورة البقرة؛ فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة**»[١].

فيه الأجر والثواب، والتجارة التي لا تبور، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ٢٩﴾ [فَاطِر: ٢٩].

قال رسول الله ﷺ: «**من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول آلم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف**»[٢].

عباد الله، إن حفاظ القرآن العاملين به هم أصفياء الله من خلقه، وخيرته من عباده، ومن أعلى الناس درجات في الجنة يوم القيامة.

قال رسول الله ﷺ: «**إن لله أهلين من خلقه**»، قالوا: ومن هم يا رسول الله؟ قال: «**أهل القرآن هم أهل الله وخاصته**»[٣].

وقال رسول الله ﷺ: «**يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا؛ فإن منزلك عند آخر آية تقرأها**»[٤].

أحبتي الفضلاء، نحن في شهر رمضان في روضة فواحة بالفضائل والعبادات

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه الترمذي، وهو صحيح.

(٣) رواه أحمد والنسائي وابن ماجه، وهو صحح.

(٤) رواه أحمد وأبو داود وابن حبان، وهو صحيح.

المتنوعة، وعلى رأس هذه العبادات: **قراءة القرآن الكريم.**

فللقرآن ارتباط وثيق بالصيام عموماً وبرمضان خصوصاً، فكلاهما يصفي الروح ويجلو القلب والعقل، والقيام بهما معاً له شأن من الحلاوة والراحة، وقد جمع رسول الله ﷺ بين الصيام والقرآن فقال: «**الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب، منعته الطعام والشهوة فشفعني فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعني فيه، قال: فيشفعان**»[1].

وفي رمضان أنزل القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ ﴿١٨٥﴾﴾ [البَقَرَة: ١٨٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾﴾ [القَدر: ١].

أيها الصائمون، ما أحسن قراءة القرآن للصائم في رمضان، وما ألذ حروفه في اللسان، وألطف وقعها على القلوب. حين يفرغ البطن ويصفو العقل من كدر المأكولات والشهوات يكون للقرآن طعم آخر؛ فالطعام والشراب والشهوة تكسب القلب قسوة، والنفس غفلة، والجوارح ثقلاً وكسلا، فيأتي الصيام ليقدح الفكر، ويذهب الغفلة، وينقل القارئ الصائم إلى التفهم والتدبر، والمعرفة ورقة القلب. وهذه الحال التي يمكن للقارئ الاستفادة منها.

فالعين ترى في تلك الصفحات المشرقة نوراً يهديها إلى الطريق المستقيم، والأذن تسمع أحلى كلام يصل الأسماع، والقلب يتنعم بتلك المعاني المؤثرة التي تزرع فيه حب هذا الكتاب وحب منزله العظيم، فيعظم رجاؤه

(١) رواه أحمد والطبراني والحاكم، وه حسن صحيح.

لما عند الله من الخير، ويشتد خوفه أن يصل إليه غضبه أو تناله عقوبته، والعقل يتدبر ذلك الكلام البديع الذي لا يدرك من أسراره إلا الشيء اليسير، وكلما زادت قراءته وتأمله انكشفت له حقائق ودقائق لم تكن مرت عليه من قبل.

أيها الأحبة، إن القرآن الكريم لا ينفع قارئه إلا إذا تدبره، والصوم زمان خصب لتحقيق هذه الغاية الحميدة، ومن الخطأ الكبير أن يكون الهم الأكبر للقارئ في رمضان وفي غير رمضان الوصول إلى نهاية السورة أو نهاية المصحف بإسراع القراءة وأكل الحروف والكلمات.

قال بعض السلف: «لأن أقرأ في ليلتي حتى أصبح بـ(إذا زلزلت) و(القارعة)، لا أزيد عليهما أتردد فيهما، وأتفكر أحب إلي من أهذّ القرآن ليلتي كلها».

والقرآن إنما أُنزل للتدبر الذي يعقبه العمل به، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١﴾ [القَدر: ١].

معشر المسلمين، تدبر القرآن يفتح لصاحبه آفاقاً رحبة من الخير العاجل والآجل، فهو يُريه طرق الخير وأهلها، وسبل الشر وأصحابها، فيدعوه إلى الطريق الأولى وصحبة سالكيها، ويحذره من الطريق الأخرى والهالكين فيها.

ويريه حكمة المشرع المعبود سبحانه في نهيه وأمره، وعظمتَه في خلقه، وفضلَه في إكرامه، وعدله في عقابه، وقوته في مؤاخذته، ورحمته بعباده، وسعةَ علمه في مخلوقاته، وجبروته في قهر أعدائه، ونصرته لأنبيائه وأوليائه، وعزته ومنعته أن يناله أذى المؤذين، وقدرتَه أن يفوته أحد المخلوقين، وسمعه الواسع في إدراك نطق الناطقين، وبصره النافذ العظيم أن تخفى عليه حركة أو سكون من خلقه أجمعين.

أيها الصائمون، ما ملَّ القرآنَ من تدبر ألفاظه ومعانيه، وما نسي لذة القرآن من تدبر أحكامه وحكمه، وما هجر القرآن من ذاق طعمه وخالطت بشاشته قلبه.

إن القرآن -متدبَراً- ما تلاه لسان إلا طاب وحلا، ولا وصل أثره قلباً إلا صلح وصفا، ولا حل صدراً إلا انبسط وانشرح، ولا تأمل فيه عقل راجح إلا اتسع وانفسح.

وهل هملت الدموع الصادقة عند تلاوته أو سماعه إلا بتدبره، وخشعت القلوب بعد أن كانت قاسية كالحجارة إلا بتعقله، وهل عرفت علوم الشريعة إلا بالنظر فيه، والتفكر فيما يحويه ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النِّساء: ٨٢].

ألا إن الصديقين والشهداء والصالحين أوصلهم تدبر القرآن إلى ما هم فيه من المراتب العالية والمناقب السامية، وإن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين.

لقد كان لأهل الإيمان مع تدبر القرآن حديث مؤثر، خشعت له قلوبهم، ودمعت منه عيونهم، وسارعت به إلى الأعمال الصالحة جوارحهم.

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**اقرأ عليّ القرآن**». قال: فقلت: يا رسول الله، أقرأ عليك وعليك أنزل؟! قال: «**إني أشتهي أن أسمعه من غيري**». فقرأت النساء حتى إذا بلغت: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النِّساء: ٤١]، رفعت رأسي أو غمزني رجل إلى جنبي فرفعت رأسي فرأيت دموعه تسيل.(١)

فما الذي أبكاه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إلا التدبر والتفكر فيما سمع.

(١) متفق عليه.

وكان خليفته أبوبكر الصديق رَضِيَ الله عَنْهُ رجلاً أسيفاً أي: حزيناً لا يفتتح الصلاة قارئاً إلا هملت عيناه.

وعمر الفاروق رَضِيَ الله عَنْهُ في ليلة من ليالي عدله وإحساسه بالمسؤولية الملقاة على عاتقه يخرج ليتفقد رعيته، إذ مر بدار رجل من المسلمين فوافقه قائماً يصلي فوقف يستمع قراءته فقرأ الطور حتى بلغ: ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ۝٦ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ۝٨﴾ [الطُّور: ٦ - ٨]، فقال عمر: قسم ورب الكعبة، فنزل عن حماره واستند إلى حائط فمكث ملياً ثم رجع إلى بيته فمكث شهراً يعوده الناس لا يدرون ما مرضه، وما مرضه إلا تأثره بما سمع.

وهذا الصحابي الكريم أبو طلحة رَضِيَ الله عَنْهُ يقرأ سورة التوبة، فلما بلغ قوله تعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٤١﴾ [التَّوبَة: ٤١]. قال: أرى ربنا يستنفرنا شيوخاً وشباباً، جهزوني يا بَني. فركب البحر غازياً في سبيل الله فمات فلم يجدوا جزيرة يدفنونه فيها إلا بعد تسعة أيام فنزلوا فدفنوه، ولم يكن قد تغير جسده خلال تلك الأيام التسعة فوق السفينة رَضِيَ الله عَنْهُ ورحمه.

وجبير بن مطعم صحابي آخر رَضِيَ الله عَنْهُ سمع رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقرأ في المغرب بالطور حتى بلغ قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٣٥﴾ [الطُّور: ٣٥]. قال: فكاد قلبي يطير، فكان ذلك من أسباب إسلامه، نعم لقد تأثر حتى طار إلى رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان قبل توبته من لصوص الليل فبينا هو في ليلة من تلك الليالي المظلمة أشرقت في قلبه آية فبددت تلك الظلمات، إذ رقي تلك الليلة بيتاً فسمع قارئاً يقرأ: ﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ۝١٦﴾ [الحَدِيد: ١٦].

فقال: بلى، والله قد آن، فنزل وتاب وصار يضرب بعبادته وصلاحه المثل بعد ذلك، رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

أمة الإسلام، هذا كتاب ربنا الذي أنزله إلينا لنقرأه ونتدبره ونعمل بما فيه، فلو تدبرت الأمة هذا الكتاب ورجعت إليه لعزت وسادت، وتخلصت من مشكلاتها وأزماتها، **ولكن ما حال أمتنا مع القرآن؟!**

أين القراءة، وأين التدبر، وأين التحاكم، وأين العمل بهذا الدستور العظيم.

هناك هجر كبير وإعراض كثير، فهلا من رجعة وأوبة إلى هذا الكتاب تلاوة وتأملاً وتحكيماً واسترشاداً.

فالقرآنَ القرآن يا أمة القرآن، والتدبر التدبر؛ فإنه نعم المحبب والمقرب للأنس بهذا الكتاب الكريم.

بارك الله لي ولكم بالقرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم.

قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الرحيم الرحمن، علم القرآن، خلق الإنسان، علمه البيان، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على المرسل بالقرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما،

أما بعد:

أيها الصائمون، إن قراءة القرآن الكريم عبادة عظيمة، لها آداب حسنة يستحب للقارئ أن يتمسك بها لكي يكمل أجره ويتم انتفاعه.

ومن تلك الآداب: إخلاص النية في القراءة والتمهلُ فيها؛ طلباً لرضوان الله لا طلباً لحظوظ الدنيا. عن جابر بن عبد الله قال : دخل النبي ﷺ المسجد فإذا فيه قوم يقرؤون القرآن قال: «**اقرؤوا القرآن، وابتغوا به الله** عز وجل**، من قبل أن يأتي قوم يقيمونه إقامة القِدْح يتعجلونه ولا يتأجلونه**»[(١)]. والمعنى: اقرأوا القرآن لله تعالى قبل أن يأتي قوم يسرعون في تلاوته كإسراع السهم إذا خرج من القوس، يطلبون بقراءته عرض الدنيا وأعراضها ولا يريدون به جزاء الآخرة.

ومن الآداب: الخشوع عند قراءته، وذلك أثر التدبر، وقد يؤدي ذلك إلى البكاء، وهذه صفة أهل العلم العاملين به، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾﴾ [الإسراء: ١٠٧ - ١٠٩].

ومن الآداب: الطهارة من الحدثين، واستعمال السواك، واستقبال القبلة،

(١) رواه أحمد وأبو داود والبيهقي، وهو صحيح.

وتحسين الصوت ما أمكن من غير تكلف.

ومن الآداب لحفاظ القرآن وقارئيه: أن تظهر آثار القرآن على أخلاق القارئ وسلوكه وأعماله. قال رسول الله ﷺ: «**مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو . ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر . ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر**»(١).

قال ابن مسعود رضي الله عنه قال : «ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس مفطرون، وبحزنه إذا الناس يفرحون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخوضون، وبخشوعه إذا الناس يختالون». وقال الفضيل بن عياض : «حامل القرآن حامل راية الإسلام، لا ينبغي أن يلهو مع من يلهو، ولا يسهو مع من يسهو، ولا يلغو مع من يلغو؛ تعظيماً لحق القرآن».

فالقرآن -**يا عباد الله**- حافظوا على تلاوته وتدبره، وتحكيمه والعمل به، وأكثروا من قراءته هذه الأيام؛ فإنها أيام فاضلة وموسم خير فسيح، فأروا الله من أنفسكم مع كتابه خيرا؛ فالسعيد من كان القرآن حجة له لا عليه.

رزقني الله وإياكم الإقبال على كتابه، والعمل بما فيه، وجعلَه حجة لنا لا علينا.

هذا وصلوا على النبي المصطفى...



(١) متفق عليه.



في ظلال آيات الصيام:

«الجزء الأول»(١)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عِمرَان: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النِّسَاء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزَاب: ٧٠ - ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي رسوله محمد بن عبد الله، ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، لقد فرض الله تعالى علينا صيام شهر رمضان من كل عام،

(١) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في ٢/رمضان/١٤٣٩هـ ١٨/٥/٢٠١٨م.

وأنزل في ذلك خمس آيات متصلة في سورة البقرة، تبيّن حُكمه وأحكامه، وشروطه وآدابه، فما أحسن أن نتفيأ في ظلال هذه الآيات ونتدبرها فنأخذ منها العلم والعمل.

يقول الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ [البَقَرَة: ١٨٣]. هذه هي الآية الأولى من الآيات الخمس، **وقد اشتملت على:** نداء ومنادى، وحُكم ومحكوم به، وتاريخِ تشريع، وغايةٍ لهذا التشريع.

فالنداء **(يَٰٓأَيُّهَا)** وهو أسلوب قولي يستدعي انتباهَ السامع؛ حتى يُقبل على المنادي فيسمع ما يقوله.

والمنادى هو **(الَّذِينَ ءَامَنُواْ)** فأهل الإيمان هم المقصودون بهذا الحكم، وليس غيرهم ممن ليس مسلمًا، ولو كان عامًا يشملهم لقال: يا أيها الناس؛ لأن الكافر لا يُطلب منه الصيام حتى يُسلِم، ويشهد شهادة الحق.

والنداء بوصف الإيمان حاثٌّ على الامتثال والعمل؛ إذ إن الإيمان يدعو صاحبه إلى القيام بأعمال الإيمان: عملاً بالأمر، وتركًا للنهي، وتلقّي ذلك بالسمع والطاعة. وقد جاء بعد هذا النداء الأمر بعمل خير ألا وهو الصيام، وما على المؤمن إلا امتثال هذا الأمر.

وقد أتى رجلٌ عبدَ الله بن مسعود، فقال اعهد إليّ، فقال: «إذا سمعت الله يقول: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فأرعها سمعك؛ فإنه خير يأمر به، أو شر ينهى عنه»[1].

وأما الشيء الثاني في الآية فهو الحكم والمحكوم به؛ فالحكم هو الإيجاب، وقد جاء بلفظ: **(كُتِبَ)** الذي هو صيغة من صيغ الوجوب التي تدل على الفرض

(١)« » تفسير ابن أبي حاتم «١/ ٢٨٣».

والإلزام؛ كقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَى﴾ [البَقَرَة: ١٧٨].

وأما المحكوم بوجوبه فهو الصيام الشرعي الذي هو: «الإِمساكُ عن المفطِّرات، بنيَّة التعبُّد لله تعالى؛ مِن طُلوعِ الفجر إلى غُروبِ الشمس»[(١)].

وأما التاريخ لهذا التشريع الواجب فهو قوله: ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾، فعُلِم منه أن الصيام شريعة واجبة في الأمم قبل هذه الأمة، وليست عليها وحدها. وهذا يبين أن عبادة الصيام عبادة صالحة لكل زمان، ولكل أمة. وقد ساق الطبري بسنده إلى السدي فقال: «أما الذين من قبلنا: فالنصارى، كتب عليهم رمضان، وكتب عليهم أن لا يأكلوا ولا يشربوا بعد النوم، ولا ينكحوا النساءَ شهر رمضان. فاشتد على النصارى صيامُ رمَضان، وجعل يُقَلَّبُ عليهم في الشتاء والصيف. فلما رأوا ذلك اجتمعوا فجعلوا صيامًا في الفصل بين الشتاء والصيف، وقالوا: نزيد عشرين يومًا نكفّر بها ما صنعنا! فجعلوا صيامهم خمسين»[(٢)].تحريفًا وتبديلًا لشرع الله تعالى.

وأما الغاية من تشريع الصيام فهي في قوله: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾؛ فالصيام عبادة شُرعت لهدف عظيم يجلب للمسلم السعادة في الدنيا والآخرة عبر بوابة التقوى؛ فإن الصيام لما كان تصبيراً للنفس على اجتناب المفطّرات التي حرمها الله تعالى على الصائم وقت صيامه، وتصبيراً للنفس على القيام بما يصح به الصيام من الطاعات، وتصبيراً للنفس على تحمل المكاره الناتجة عن ثقل الصيام من تعب وجوع وظمأ وكبح عن شهوات النفس، مع مراقبة لله تعالى وإخلاص له في ذلك؛ كان هذا كله من

(١) الشرح الممتع على زاد المستقنع «٣/ ٥».

(٢) تفسير الطبري «٣/ ٤١١».

التقوى التي تعني: «ترك ما حرَّم الله، وأداء ما افترض»[١].

وذكرُ هذه الغاية للصيام يبين أن للصيام أهدافًا وحِكمًا عظيمة من تشريعه، فكما أن التقوى هي غايته الأصلية فإن هناك غايات فرعية أخرى أيضًا؛ فالصيام يربي المسلم على مراقبة الله تعالى والإخلاص له، ويدعوه إلى الإيثار والرحمة، ويُقيمه على صراط الخُلق الفاضل، والمعاملة الحسنة، ويربيه على ضبط النفس والسيطرة عليها، وكبح جماحها في شهواتها وغضبها وسوء تعاملها.

عباد الله، الآية الثانية من آيات الصيام: قول الله تعالى: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ ۚ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾﴾ [البَقَرَة: ١٨٤].

وقد احتوت هذه الآية على خمسة أمور: بيان مدة الصيام، وبيان الأعذار المانعة منه، أو التي يشق معها الصيام، وبيان الحكم في حق من كان فيه عذر من هذه الأعذار، والترغيب في الزيادة على الفدية، والحث على أفضلية الصيام على الفدية، أو مع وجود المشقة المحتملة.

فالأمر الأول: أن الصيام الذي فرضه الله تعالى علينا -معشر المسلمين- إنما هو أيام قليلة، وليس مدة كبيرة؛ ولذلك ذكر المدة ووصفها بقوله: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ على جمع القلة؛ تشويقًا للصيام، وترغيبًا في الحرص عليه، قال بعض المفسرين: «وإنما عبّر عن رمضان بأيام وهي جمع قلة، ووصف بمعدودات وهي جمع قلة أيضًا؛ تهوينا لأمره على المكلفين، والمعدودات كناية عن القلة؛ لأن الشيء القليل يُعدّ عداً؛ ولذلك يقولون:

---

(١) جامع العلوم والحكم «٢٠/ ٨».

الكثير لا يُعَد»[١].

والأمر الثاني في الآية: بيان الأعذار المانعة من الصيام، أو التي يشق معها، فقال تعالى عنها: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ ، فذكر تعالى المرض والسفر؛ فأما المرض الذي يمنع من الصيام فهو الذي يؤدي إلى زيادة الداء، أو تأخير الشفاء، أو يوصل إلى تلف النفس. وليس كل مرض عذراً للفطر، فالمرض اليسير الذي يمكن معه الصوم ولا يوصل إلى نتيجة من النتائج السابقة لا يمنع من الصيام.

وأما السفر فإنه عذر للفطر إذا كان إلى مكان عُدّ في عُرف الناس أنه سفر تقصر فيه الصلاة»[٢].

وإن استطاع المسافر الصيام في سفره خاصة إذا كان سفره مريحًا لا مشقة فيه فنفضل له الصيام على الفطر؛ أداء لحق الله، ومسابقة إلى الخير؛ لأن الإنسان لا يدري ما يعرض له في المستقبل.

وهناك صنف آخر من أصحاب الأعذار ذُكروا في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ﴾ وهم الذين يتكلفون الصيام ويشق عليهم مشقة غير محتملة؛ كالشيخ الكبير الفاني والعجوز الهرمة، والمريض مرضًا لا يرجى شفاؤه حتى يتمكن من القضاء عند الشفاء. ويلحق بهم المرأة الحامل، أو المرضع، إذا خافتا على نفسيهما أو ولديهما.

والأمر الثالث في الآية: بيان الحكم في حق من كان فيه عذر من هذه الأعذار؛ فأما المريض مرضًا يرجى شفاؤه، والمسافر فإن عليهما القضاء بعد رمضان؛ لقوله تعالى في الآية: ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ فمن أفطر

(١) التحرير والتنوير «٢/ ١٥٩».

(٢) الشرح الممتع على زاد المستقنع «٤/ ٣٥١-٣٥٢».

في رمضان لسفر أو مرض شُفي بعده فعليه قضاء ما أفطر من شهر رمضان. ولا يشترط التتابع في القضاء، بل يجوز التتابع والتفريق، كما لا يشترط أن يكون ذلك في شوال، بل يجوز تأخيره ولو إلى شعبان، لحديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان يكون عليّ الصوم من رمضان، فما أستطيع أن أقضي إلا في شعبان[1]. مع أن المبادرة أفضل، خاصة لمن يريد صيام الست من شوال.

ويلحق بالمريض والمسافر في وجوب القضاء: الحامل والمرضع، فإن عليهما القضاء فقط وليس عليهما فدية مع ذلك، على الصحيح[2].

وأما المريض مرضًا لا يُرجى شفاؤه، والإنسان الكبير في السن فهؤلاء عليهم مع الإفطار إطعام مسكين عن كل يوم أفطروه من رمضان؛ لقوله تعالى في الآية: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ **ومقدار الإطعام:** نصف صاع عن كل يوم، ويساوي ذلك كيلو ونصفًا، من غالب الطعام.

وفي قضية الإطعام تنبيهات:

أولاً: أنه يجب أن تكون الفدية من الطعام ولا تجزئ من غيره، فلا يصح أن يُعطى المسكين نقوداً إلا إذا اشترى بها طعامًا، ولا تجوز الفدية بملابس أو دواء أو نحو ذلك.

ثانيًا: يجوز الإطعام في رمضان ويجوز بعده.

ثالثًا: يجوز أن يُجمع المساكينُ في آخر رمضان وبعده ويُطعَموا عدد ما أفطر المعذور، وكما يجوز جمعهم في وقت واحد يجوز أيضًا تفريقهم، حسب ما يتيسر للمطعم. رابعًا: ولو دعي المسكين إلى البيت أو إلى مطعم فأطعم وجبة كافية، سواء كان ذلك في رمضان أم غيره لكان أفضل.

---

(١) متفق عليه.

(٢)« » الشرح الممتع على زاد المستقنع «٦/ ٣٥٠».

وأما الأمر الرابع في الآية فهو: الترغيب في الزيادة على الواجب في الفدية، والحث على أفضلية الصيام على الفدية، أو مع وجود المشقة المحتملة. ففي الزيادة على الفدية يقول تعالى: ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ﴾ **يعني:** «فمن زاد في قدر الفدية تبرعًا منه فهو خير له»[1]. أي: لو أطعم المسكين صاعًا بدل نصف صاع، أو أعطاه أكثر من وجبة فهو خير. وللحث على أفضلية الصيام على الفدية، أو مع وجود المشقة المحتملة يقول تعالى: ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝١٨٤﴾ **أي:** «وصيامكم خير لكم -مع تحمُّل المشقة- من إعطاء الفدية، إن كنتم تعلمون الفضل العظيم للصوم عند الله تعالى»[2].

أيها الأحباب الكرام، تأملوا في هاتين الآيتين الكريمتين كيف رغبنا الله تعالى في الصيام بعدة أمور[3]:

أولاها: أن الصيام لم يُفرض علينا -أمةَ محمد- وحدنا، بل قد فُرض أيضًا على غيرنا من الأمم قبلنا، فيكون لنا بذلك أسوة، وهذا يخفف من ثقل العبادة لوجود القدوة.

ثانيها: أن الصيام عبادة لها غاية حميدة، وفائدة كبيرة، ألا وهي: التقوى، وهذا مما يشجع على القيام بعبادة الصيام.

ثالثها: أنه شُرع أيامًا قليلة، وليس أيامًا كثيرة، وهذا ينشط المسلم على الصيام.

رابعها: أن هذه العبادة الواجبة لا يدخل في حكمها أصحاب الأعذار من مرض أو كبر أو سفر، وإنما تجب على الصحيح القادر المقيم، وهذا مظهر

---

(١) التفسير الميسر «١/ ١٩٨».

(٢) المصدر السابق.

(٣) بعض ما ذُكر مستفاد من كلام القفال، ينظر في: تفسير الرازي: مفاتيح الغيب «٥/ ٦٣».

من مظاهر رحمة الله تعالى بعباده، وتيسير العبادة عليهم.

فلله الحمد على نعمة الإسلام، ولله الحمد على نعمة الصيام، ولله الحمد على هذا التشريع الميسر في جميع الأحكام.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده،

أما بعد:

أيها المسلمون، والآية الثالثة من آيات الصيام هي: قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَـٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ [البَقَرَة: ١٨٥].

وفي هذه الآية الكريمة مسائل:

المسألة الأولى: قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾، وهذا تحديد للزمن الواجب صيامه، بعد أن أُجمل في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ ولم تبين الآية السابقة شهرَ الصيام، فجاءت هذه الجملة: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾ لتحدد أنه شهر هلالي من شهور السنة القمرية وتخصه من بين شهور السنة الاثني عشر بشهر رمضان. وقد اختار الله تعالى هذا الشهر وشرّفه بالصيام لحكم يعلمها تبارك وتعالى.

وكما اصطفاه سبحانه للصيام فقد اصطفاه أيضًا بمزية أخرى ألا وهي نزول القرآن فيه، وهي المسألة الثانية.

المسألة الثانية: قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَـٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾، فقد اجتبى الله تعالى شهر رمضان بنزول القرآن ، قال ابن كثير: «يمدح تعالى شهر الصيام من بين سائر الشهور بأن اختاره من بينهن لإنزال القرآن العظيم... نزل جملة واحدة إلى بيت العزة من السماء الدنيا، وكان ذلك في شهر رمضان في ليلة القدر منه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ

أَنزَلْنَهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ وقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ٣﴾ ثم نزل بعده مفرقاً بحسب الوقائع على رسول الله ﷺ، هكذا روي من غير وجه عن ابن عباس»[١].

عباد الله، وأما المسألة الثالثة: ففي قوله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾، ففيها التصريح بفرضية الصيام بشرطه، بعد تحديد شهره، وهذه الجملة من الآية -على قول جمهور العلماء- ناسخة للتخيير المذكور في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾، فقد «كان في ابتداء الأمر من شاء صام، ومن شاء أفطر وأطعم عن كل يوم مسكيناً»[٢]، ومما يدل على ذلك حديث سلمة بن الأكوع قال: لما نزلت: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾كان من أراد أن يفطر ويفتدي، حتى نزلت الآية التي بعدها فنسختها«[٣]». قال ابن كثير: «فحاصل الأمر أن النسخ ثابت في حق الصحيح المقيم بإيجاب الصيام عليه بقوله: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾، وأما الشيخ الفاني الهرم الذي لا يستطيع الصيام، فله أن يفطر ولا قضاء عليه؛ لأنه ليست له حال يصير إليها يتمكن فيها من القضاء، ولكن يجب عليه فدية عن كل يوم، وعليه أكثر العلماء»[٤].

المسألة الرابعة: قوله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾، فقد ذكر الله تعالى في هذه الجملة من الآية من شروط وجوب الصيام: الإقامة، والسلامة من الأعذار، فقوله: ﴿شَهِدَ﴾ أي:

(١)« » تفسير ابن كثير «١/ ٢٦٨».

(٢)« » تفسير ابن كثير «١/ ٢٦٧».

(٣)« » متفق عليه.

(٤)« » تفسير ابن كثير «١/ ٢٦٨» بتصرف يسير.

حضر في الشهر، أي: لم يكن مسافراً، وهو المناسب لقوله بعده: ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ إلخ»[1].

وقوله: ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾، فيه شرط السلامة من عذر المرض ووجوب القضاء لمن أفطر لمرض أو سفر.

ووجه إعادة قوله: ﴿مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ مع تقدمه في الآية السابقة: حتى لا يظن ظان أن جميع ما ذُكر في الآية الماضية قد نُسخ كما نُسخ التخييرُ بين الصيام والإطعام مع القدرة، بل الرخصة بالفطر في حق المسافر والمريض باقية، ولكن عليهما وجوب القضاء لا الإطعام«[2]».

أيها الإخوة الفضلاء، المسألة الخامسة: قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾، فإن المتأمل في شريعتنا الغراء يجد أنها شريعة ميسرة، مبنية على دفع المشقة والعسر عن المكلف، فبعد أن ذكر الله تعالى بعض أحكام الصيام، خصوصًا الرخصة لأصحاب الأعذار في الفطر كالمريض والمسافر والعاجز، علّل ذلك بأنه يريد بهذه الأحكام التيسير على عباده ودفع العسر عنهم. ومن نظر في عبادة الصيام وجد مظاهر كثيرة لهذا التيسير فيها، فمنها: ما ذُكر في الآية من مشروعية الفطر للمريض والمسافر والشيخ الكبير وما يلحق بهم من الحامل والمرضع، وكصحة صيام من أكل أو شرب ناسيًا، ومن أصبح جنبًا ولم يغتسل بعد، وكعدم وجوب الصيام على الصبي والمجنون، وعدم جواز الصوم من الحائض والنفساء، إلى غير ذلك من رخص الصيام الشرعية التي ذكرها أهل العلم.

المسألة السادسة: ثم ختم الله تعالى الآية الكريمة بتعليل الأحكام التي ذكرت

(١) التحرير والتنوير «٢/ ١٧١».

(٢) ينظر: التحرير والتنوير «٢/ ١٧٢».

فيها؛ فذكر سبحانه إكمال العدة، والتكبير لأجل الهداية، والشكر، فقال تعالى: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ فبين سبحانه أنه شرع القضاء بأيام أخر من أجل إكمال عدة رمضان للمريض والمسافر ونحوهما إن أفطرا، ليتم للإنسان أجر رمضان كاملاً.

كما بين تبارك وتعالى أن التكبير الذي معناه: التعظيم والتبجيل جاء لما «أنعم عليكم به من الهداية التي خذل عنها غيركم من أهل الملل الذين كتب عليهم من صوم شهر رمضان مثل الذي كتب عليكم فيه، فضلُّوا عنه بإضلال الله إياهم، وخصَّكم بكرامته فهداكم له، ووفقكم لأداء ما كتبَ الله عليكم من صومه»[١].

«وفي لفظ التكبير عند انتهاء الصيام خصوصية جليلة وهي أن المشركين كانوا يتزلفون إلى آلهتهم بالأكل والتلطيخ بالدماء، فكان لقول المسلم: الله أكبر، إشارة إلى أن الله يعبد بالصوم وأنه متنزه عن مشابهة الأصنام»[٢].

«ولهذا أخذ كثير من العلماء مشروعية التكبير في عيد الفطر من هذه الآية»[٣]. إضافة لما ورد في السنة من استحباب ذلك. وجاء الشكر بعد ذلك تتويجًا للنعم الكثيرة التي منّ بها سبحانه على هذه الأمة فمن تفكر في الهداية لصيام هذا الشهر وتيسير أحكامه وذهاب المشقة عنه كان ذلك أدعى لشكر الله تعالى. قال بعض المفسرين: « فقوله: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟﴾ علة الأمر بمراعاة العدة، ﴿وَلِتُكَبِّرُوا۟﴾ علة ما علم من كيفية القضاء والخروج عن عهدة الفطر،

---

(١) تفسير الطبري «٣/ ٤٧٨».

(٢) التحرير والتنوير «٢/ ١٧٤».

(٣) تفسير ابن كثير «١/ ٢٧١».

﴿وَلِتُكَبِّرُواْ﴾ علة الترخيص والتيسير»[١].

هذا وصلوا وسلموا على من أمرتم بالصلاة والسلام عليه...

---

(١) تفسير الكشاف «١/ ٢٥٤».



في ظِلال آيات الصيام:

«الجزء الثاني»[(١)]

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عِمرَان: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النِّسَاء: ١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزَاب: ٧٠ - ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي رسوله محمد بن عبد الله، ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الصائمون الفضلاء، وقفنا في الجمعة الماضية مع ثلاث آيات من آيات الصيام الخمس في سورة البقرة، **وسنقف هذا اليوم -بعون الله- مع**

(١) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في ٩/رمضان/ ١٤٣٩هـ ٢٠١٨/٥/٢٥م.

الآيتين الأخيرتين من تلك الآيات الخمس.

الآية الأولى قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ١٨٦﴾[البَقَرَة: ١٨٦].

ففي هذه الآية الكريمة أمران:

الأمر الأول: إذا تأملنا في هذه الآية وجدنا أنها صُدِّرت بالسؤال الذي جرت عادة القرآن بأن يكون صدر جوابه بـ: قل؛ كقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[الأنفَال: ١]. أو بقوله: فقل؛ كقوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ١٠٥﴾[طه: ١٠٥]. لكنه في هذه الآية لم يذكر ذلك؛ ولعل سبب ذلك بيان قرب الله تعالى من عبده عند الدعاء، فهو سبحانه لا يحتاج إلى واسطة أحد بينه وبين عبده؛ فلهذا على العبد أن يدعوه تعالى مباشرة. قال بعض المفسرين: « كأنه سبحانه وتعالى يقول: عبدي، أنت إنما تحتاج إلى الواسطة في غير وقت الدعاء، أما في مقام الدعاء فلا واسطة بيني وبينك»[(١)]. فسبحانه من إله قريب يدعوه عبده بأي لسان، ومن أي مكان، فيسمعه سبحانه ويعلمه! عن أبي موسى رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر فجعل الناس يجهرون بالتكبير، فقال النبي ﷺ: «**يا أيها الناس، ارْبَعُوا على أنفسكم**[(٢)]**؛ إنكم ليس تدعون أصمَّ ولا غائباً، إنكم تدعون سميعًا قريباً وهو معكم**»[(٣)].

والأمر الثاني في الآية: أن الله تعالى ذكر هذه الآية ضمن الحديث عن الصيام ليرشد إلى أهمية الدعاء في زمان الصيام، قال بعض المفسرين:

(١) تفسير الرازي «ص: ٧٧٩».

(٢) أي: الزموا شأنكم ولا تعجلوا، وقيل: معناه: كفوا، أو ارفقوا. فتح الباري «١/ ١٢١».

(٣) متفق عليه.

«وفي ذكره تعالى هذه الآية الباعثة على الدعاء متخللة بين أحكام الصيام، إرشاد إلى الاجتهاد في الدعاء عند إكمال العدة، بل وعند كل فطر»[١].

وفي هذه الآية إيماء إلى أن الصائم مرجو الإجابة، وإلى أن شهر رمضان مرجوة دعواته، وإلى مشروعية الدعاء عند انتهاء كل يوم من رمضان»[٢].

ومما يدل على أهمية الدعاء أثناء الصيام: قول رسول الله ﷺ: «**ثلاثة لا ترد دعوتهم: الإمام العادل، والصائم حتى يفطر**»[٣].

عباد الله، إن الصيام من أحسن الأزمان للدعاء، وحال العبد فيه من أحسن الأحوال لذلك، فحين يعرف المسلم حق هذه العبادة وما ينبغي له فيها فإن روحه تقبل على ربها، فيخشع قلبه، وتستكين جوارحه، فتبدو عليه مخايل الإخبات والإقبال، والخضوع والانقياد، وعندئذ يكون قريبًا من ربه، موقنًا به، فإذا دعاه دعاه بتضرع وإكثار ويقين ورجاء وحسن ظن، وهناك يكون قريب الإجابة.

فما أحوجنا -**أحبابي الكرام**- إلى الدعاء، وما أفقرنا إلى اللجوء إلى رب السماء؛ إذ ما أكثر الآمال التي نرجو حصولها، والآلام التي نبغي رحيلها!

ومع عظم هذه المطالب إلا أن العجب يقف متحيراً عندما يلجأ أكثر الناس إلى الناس ويدَعون رب الناس، الذي يقول في الحديث القدسي: «**من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له**»[٤].

وإذا ابتُلِيتَ بمِحــْنةَ فالبس لها ثوبَ السكوتِ فإن ذلك أسلمُ

(١) تفسير ابن كثير «١/ ٢٧٣».

(٢) التحرير والتنوير «٢/ ١٧٧».

(٣) رواه أحمد وابن حبان والترمذي، وهو صحيح.

(٤) متفق عليه.

لا تشـــــكوَنَّ إلى العـــباد فإنـــما　　تشكو الرحيمَ إلى الذي لا يَرْحَم[١].

أيها المسلم، أكثِرْ من الدعاء، ولا تستكثر على الله تعالى؛ فإنك تدعو من لا تنفد خزائنه، ولا ينتهي كرمه، ولا -يثقل عليه إلحاح الملحين، بل يفرح بكثرة سؤال عبده له وإلحاحه عليه سبحانه وتعالى.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ۝١٥﴾ [فاطر: ١٥]،

«يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد، فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته، ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أُدخل البحر»[٢].

لا تســـألنَّ مـــن ابن آدم حاجـــةً　　وســـلِ الذي أبوابُه لا تُحجـــبُ

اللهُ يغضـــب إن تركـــتَ ســـؤاله　　وبُنيُّ آدمَ حين يُسئل يغضـــب[٣].

ومتى دعا المسلم بدعوة لم يعجل الله له إجابتها لحكمة يعلمها سبحانه؛ فلا ييأس من الاستمرار رجاء الإجابة، فإن لم يُجب فله ربح آخر أخبر به النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

قال النبي ﷺ: «**لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم، ما لم يستعجل**»، قيل: يا رسول الله، ما الاستعجال؟ قال: «**يقول: قد دعوت وقد دعوت، فلم أر يستجيب لي، فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء**»[٤].

---

(١) عيون الأخبار «ص: ٢٣٢».

(٢) رواه مسلم.

(٣) المستطرف «٢/ ١١٦».

(٤) رواه مسلم.

وقال رسول الله ﷺ: **«ما من مسلم يدعو، ليس بإثم ولا بقطيعة رحم إلا أعطاه إحدى ثلاث: إما أن يعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يدفع عنه من السوء مثلها»**(١).

إن الدعاء المستجاب -يا عباد الله- يحتاج إلى شروط وآداب، فمن آداب الدعاء وشروطه:

أن يكون الداعي حاضر القلب حال دعائه، مخلصًا لله فيه، موقنًا أنه لن يقضي حاجته سواه، وأن يكون متناولاً للحلال في أكله وشربه ولبسه، وأن يكون المدعو به مباحًا.

وما أحسن أن يختار الأوقات المناسبة للدعاء كوقت السحر، وبين الأذان والإقامة، وحال الاضطرار. وأن يختار جوامع الدعاء التي تجمع بين خيري الدنيا والآخرة.

أيها المسلمون، والآية الأخيرة من الآيات الخمس هي قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْۖ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِي ٱلْمَسَٰجِدِۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ١٨٧﴾ [البَقَرَة: ١٨٧].

وقد تضمنت هذه الآية مسائل:

المسألة الأولى: الرخصة في معاشرة الزوجة في ليل الصيام دون نهاره فقال تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ

(١) رواه الترمذي، والبخاري في الأدب المفرد، وهو صحيح.

لِبَاسٌ لَّهُنَّۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَخۡتَانُونَ أَنفُسَكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡ وَعَفَا عَنكُمۡ﴾ و«هذه رخصة من الله تعالى للمسلمين ورفعٌ لما كان عليه الأمر في ابتداء الإسلام، فإنه كان إذا أفطر أحدهم إنما يحل له الأكل والشرب والجماع إلى صلاة العشاء أو ينام قبل ذلك، فمتى نام أو صلى العشاء حرم عليه الطعام والشراب والجماع إلى الليلة القابلة، فوجدوا من ذلك مشقة كبيرة»[(١)]. عن البراء رضي الله عنه قال: كان أصحاب محمد ﷺ إذا كان الرجل صائمًا فحضر الإفطار فنام قبل أن يفطر لم يأكل ليلته ولا يومه حتى يمسي، وإن قيس بن صرمة الأنصاري كان صائمًا فلما حضر الإفطار أتى امرأته فقال لها: أعندك طعام ؟ قالت: لا، ولكن أنطلق فأطلب لك، وكان يومه يعمل فغلبته عيناه، فجاءته امرأته، فلما رأته قالت: خيبة لك! فلما انتصف النهار غُشي عليه، فذكر ذلك للنبي ﷺ فنزلت هذه الآية: ﴿أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡ﴾. ففرحوا بها فرحًا شديداً ونزلت: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِ﴾[(٢)].

وأما قوله سبحانه: ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَخۡتَانُونَ أَنفُسَكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡ وَعَفَا عَنكُمۡ﴾ فهو يبين أن بعضهم كان يخون نفسه بإيقاعها في معصية الإفضاء إلى زوجته ليالي رمضان وكان ذلك محرمًا قبل النسخ، فرحم الله عباده بنسخ ذلك فتاب على من واقع قبل التحريم، وعفا عنهم بإباحة ذلك وترخيصه ليالي الصيام، فعن البراء رضي الله عنه قال : لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كله، وكان رجال يخونون أنفسهم فأنزل الله: ﴿عَلِمَ

(١) تفسير ابن كثير «١/ ٢٧٣».

(٢) رواه البخاري.

ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ﴾[1].

وتأملوا -**أيها الأحباب الأفاضل**- رقيّ الأسلوب القرآني في التعبير عن اللقاء بين الزوجين؛ فقد عبر عن ذلك بالرفث، كما هنا، وعبر عنه بالمباشرة في الآية نفسها في قوله: ﴿فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ﴾ وقوله: ﴿وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ﴾، كما عبر عنه بالمس في قوله: ﴿مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ﴾ [البَقَرَة: ٢٣٦]، وباللمس في قوله: ﴿أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [النِّسَاء: ٤٣]، وبالإفضاء في قوله: ﴿وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ [النِّسَاء: ٢١]. وبالطمث في قوله: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾﴾ [الرَّحمٰن: ٧٤].

وهذا يعلمنا استعمال التعبير اللطيف السامي في أقوالنا وكتاباتنا حين نريد التعبير عما يتعلق بالنساء، ويرشدنا إلى الابتعاد عن الألفاظ الصريحة، والكلمات المثيرة. فإذا كان هذا في الكلمات فمن باب أولى البعد عما يثير الغرائز من الصور والمقاطع والحركات غير اللائقة.

وكذلك انظروا إلى حسن التمثيل البديع للقرب بين الزوجين حين قال تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾، فعبر عن هذا القرب بلفظ اللباس الذي يحمل معنى الستر والحفظ والملاصقة. وهذا يعلم الزوجين أن يكون كل منهما حافظًا لأسرار صاحبه، ساتراً لعيوبه وعوراته.

المسألة الثانية: بينت الآية الكريمة أول زمن الإمساك عن المفطّرات ونهايته، وذكرت أمد الإباحة لتناولها من وقت الليل. فقال تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾، يعني: أن الصيام يبدأ من طلوع الفجر الصادق إلى دخول الليل بتحقق غروب الشمس، قال رسول الله ﷺ: «**إذا أقبل الليل من ها هنا، وأدبر النهار**

(١) رواه البخاري.

من ها هنا، وغربت الشمس فقد أفطر الصائم»[١]. قال بعض المفسرين: «﴿إِلَى ٱلَّيۡلِ﴾ غاية اختير لها **(إلى)** للدلالة على تعجيل الفطر عند غروب الشمس؛ لأن «إلى» تمتد معها الغاية، بخلاف **(حتى)**، فالمراد هنا مقارنة إتمام الصيام بالليل»[٢].

والخيط الأبيض: بياض النهار، والخيط الأسود سواد الليل؛ لحديث عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: لما نزلت: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِ﴾ عمدت إلى عقال أسود، وإلى عقال أبيض فجعلتهما تحت وسادتي، فجعلت أنظر في الليل فلا يستبين لي، فغدوت على رسول الله ﷺ فذكرت له ذلك فقال: «**إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار**»[٣].

وفي قوله: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِ﴾، إشارة إلى أن من أدركه الفجر وهو على جنابة لم يغتسل منها لم يفسد صومه بل عليه أن يغتسل ويواصل الصيام؛ لأنه «لو لم يجز ذلك لما جاز للصائم مد المباشرة إلى طلوع الفجر، بل كان يجب قطعها مقدار ما يسع فيه الغسل قبل طلوع الفجر»[٤]. بل قد جاء التصريح بصحة الصوم مع هذا الفعل في حديث عائشة زوج النبي ﷺ قالت: قد كان رسول الله ﷺ يدركه الفجر في رمضان وهو جنب من غير حلم فيغتسل ويصوم[٥].

المسألة الثالثة: أشارت الآية الكريمة إلى استحباب السحور، ففي «إباحته

---

(١) رواه البخاري.

(٢) التحرير والتنوير «٢/ ١٨١».

(٣) رواه البخاري.

(٤) الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي «١/ ٣٦٧».

(٥) متفق عليه.

تعالى جواز الأكل إلى طلوع الفجر دليل على استحباب السحور؛ لأنه من باب الرخصة، والأخذ بها محبوب؛ ولهذا وردت السنة الثابتة عن رسول الله ﷺ بالحث على السحور»[١].

يقول رسول الله ﷺ: «**تسحروا؛ فإن في السحور بركة**»[٢].

وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**السحور كله بركة فلا تدعوه، ولو أن يجرع أحدكم جرعة من ماء؛ فإن الله ﷻ وملائكته يصلون على المتسحرين**»[٣].

«وصلاة الله عليهم رحمتهم، وصلاة الملائكة استغفارهم لهم، وهذا ترغيب عظيم فيه»[٤].

وقال رسول الله ﷺ في السحور: «**هو الغداء المبارك**[٥]»[٦].

نسأل الله أن يتقبل منا ومنكم الصيام والقيام، وسائر الأعمال الصالحة.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم؛ إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) تفسير ابن كثير «١/ ٢٧٦».

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه أحمد، وإسناده قوي..

(٤) فيض القدير «٤/ ١٣٧».

(٥) قال العظيم أبادي: « والغداء: مأكول الصباح وأطلق عليه؛ لأنه يقوم مقامه. قال الخطابي: إنما سماه غداء لأن الصائم يتقوّى به على صيام النهار، فكأنْ قد تغدى، والعرب تقول: غدا فلان لحاجته إذا بكّر فيها، وذلك من لدن وقت السحور إلى وقت طلوع الشمس». عون المعبود «٦/ ٣٣٧».

(٦) رواه ابن حبان، وهو صحيح.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

أيها المسلمون، من المسائل التي ذكرتها الآية الكريمة: مسألة الاعتكاف؛ فذكرت أن الاعتكاف لا يكون إلا في المساجد، وذكرت مبطلاً من مبطلاته ألا وهو إتيان الزوجة حال الاعتكاف، فقال تعالى: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِ﴾.

وقد اعتكف رسول الله ﷺ وأصحابه من بعده؛ لنيل هذا الخير العظيم.

إن المعتكف يتأمل في هذه المدة اليسيرة في حاله ماذا قدم، وماذا سيقدم من الأعمال، فيتفكر في سالف أيامه: فإن كان محسناً يزد في إحسانه، ويعترف بتقصيره تجاه ربه.

وإن كان مسيئاً تضرع إلى الله تعالى ودعاه بغفران ذنبه، وستر عيبه، مع ندم صادق على زمان انقضى في التضييع والعصيان.

ويتفكر في مستقبل أيامه التي يكتنفها المجهول، فيعزم على الجد وترك التفريط والفتور، ويدعو الله تعالى بالتوفيق والسداد في القول والعمل.

فالاعتكاف فرصة للمراجعة والمحاسبة، وفرصة للتزود وشحذ الهمة الإيمانية، وطلب الصواب في قابل الأيام.

والاعتكاف فرصة لتعويض ما ضيع الصائم في أيام رمضان الأولى، فإن كان جرح صومه بمخالطة الناس فلم يسلم صومه من غيبة أو تعدٍّ فالاعتكاف مكان للسلامة والمداواة.

وإن كان فاته القيام فيما مضى فالاعتكاف يعينه على المحافظة على

القيام فيما بقي.

وإن كان قد شُغل عن كثرة قراءة القرآن وتدبره فالاعتكاف ظرف كريم لما فاته من ذلك.

ومن المناسبات الحسنة في ترتيب الأحكام في آيات الصيام: أن الله تعالى ذكر مسألة الاعتكاف آخر مسألة من مسائل الصوم لارتباطها بالعشر الأواخر من رمضان[١].

أيها الإخوة الأفاضل، وبعد أن ذكر الله تعالى أحكام الصيام وحِكمه قال سبحانه: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ «أي: هذا الذي بيناه وفرضناه وحددناه من الصيام وأحكامه وما أبحنا فيه وما حرمنا وذكرنا غاياته ورخصه وعزائمه، حدود الله، أي: شرعها الله وبينها بنفسه ﴿فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ أي: لا تجاوزوها وتتعدوها... ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ﴾ أي: كما بين الصيام وأحكامه وشرائعه وتفاصيله كذلك يبين سائر الأحكام على لسان عبده ورسوله محمد ﷺ ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ أي: يعرفون كيف يهتدون وكيف يطيعون»[٢].

ومن هذه الجملة الأخيرة من الآية نستفيد أموراً:

الأول: التحذير «من الجرأة على مخالفة الصيام بالإفطار غير المأذون

(١) قال ابن كثير: « كان الفقهاء المصنفون يُتبعون كتاب الصيام بكتاب الاعتكاف؛ اقتداء بالقرآن العظيم، فإنه نبه على ذكر الاعتكاف بعد ذكر الصوم. وفي ذكره تعالى، الاعتكاف بعد الصيام إرشاد وتنبيه على الاعتكاف في الصيام أو في آخر شهر الصيام، كما ثبتت في السنة عن رسول الله ﷺ أنه كان يعتكف العشر الأواخر من شهر رمضان حتى توفاه الله ﷻ، ثم اعتكف أزواجه من بعده، أخرجاه من حديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها» تفسير ابن كثير «١/ ٢٧٩».

(٢) تفسير ابن كثير «١/ ٢٧٩».

فيه»[١].؛ لأن ذلك مجاوزة لحدود الله التي نهى عن قربانها.

الثاني: أن العبادات تحتاج إلى بيان أحكامها؛ حتى تؤدى على الوجه الصحيح، وعلى من عَلِمها أن يبلّغها من لا يعلمها.

الثالث: أن التقوى لا تتحقق إلا بعد البيان للمأمورات حتى تُمتثل، وللمنهيات حتى تُجتنب.

الرابع: تأملوا بعين التدبر إلى الكلمة التي خُتمت بها آخر آية من آيات الصيام الخمس، وأول آية من آياتها، ستجدون أنها كلمة التقوى، فقال تعالى أولاً: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، وقال أخيراً: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾.

وهذا يدلنا على أهمية التقوى، وأن الصيام مرتع خصب لاكتسابها وتحصيلها.

فنسأل الله أن يجعلنا من المتقين.

هذا وصلوا وسلموا على القدوة المهداة....

(١) التحرير والتنوير «٢/ ١٨٤».



صوموا تَصِحُّوا[١]

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عِمرَان: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النِّسَاء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزَاب: ٧٠ - ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي رسوله محمد بن عبد الله، ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الصائمون، إن الله تعالى شرع العبادات وجعل لها غايتين تتعلقان بالعابد: غاية أخروية، وغاية دنيوية، وكلتا الغايتين تعود على الإنسان بالفائدة: الآجلة والعاجلة.

---

(١) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في ١٤٣٩/٩/١٦هـ ٢٠١٨/٦/١م.

فالغاية الأخروية للعبادة: الحصول على الأجور الموصلة إلى رضوان الله تعالى ودخول الجنة، والنجاة من النار. والغاية الدنيوية: إصلاح الروح والبدن، حتى تزكو نفس العابد، فيقوم بالغاية التي خُلق لأجلها، فيؤدي حق الله، ويؤدي حقوق خلق الله عليه. فمن تلك العبادات العظيمة التي شرعها الله تعالى لغايات جسيمة: عبادة الصوم؛ فإن للصوم ثوابًا عظيمًا في الآخرة، فقد تكفل الله تعالى بأجر فاعله من غير حدٍّ لذلك الأجر، فقال رسول الله ﷺ: «**قال الله ﷻ: كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به**»[١].

ومما يدل على عظم أجر الصيام ومنزلة أهله عند الله تعالى: أنه سبحانه جعل بابًا خاصًا من أبواب الجنة الثمانية للصائمين، فقال النبي ﷺ: «**إن في الجنة بابًا يقال له: الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أُغلق فلم يدخل منه أحد**»[٢].

والغاية الأخروية للصيام هي التي ينبغي أن نراعيها، ونجعلها دافعنا الأساس للإقبال على هذه العبادة الشريفة.

غير أن الصيام يعطي أهله فائدة أخرى تفضلاً من الله وكرمًا منه، وهي الفائدة البدنية والنفسية.

وقد اشتهر على الألسنة خبر: «صوموا تصحوا»[٣]. وهو وإن كان ضعيف الإسناد إلا أن معناه صحيح؛ فإن الصيام له فوائد صحية عديدة، إذا صامه

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه الطبراني وأبو نعيم وابن عدي، وضعفه العراقي والشوكاني والألباني، وبالغ الصاغاني فحكم عليه بالوضع، وقال الهيثمي: «رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات». وينظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة «١/ ٤٢٠».

الإنسان على الطريقة الصحيحة، وليس عنده أمراض أو أحوال يضر معها الصيام.

أيها المسلمون، كثيراً ما يتكلم الخطباء والمحاضرون والدعاة عن الصيام من ناحية دينية، مبيِّنين حُكم الصيام وأحكامه وآدابه وشروطه، وحِكمه وثمراته. ولكن هناك جانب آخر عن الصيام يتحدث عنه بعمقٍ أطباء البدن، وأطباء النفس، فالصيام كما له فوائد أخروية له فوائد دنيوية كذلك. ولعل ذلك يستفاد بعموم بعض النصوص في بيان خيرية الصيام ونفعه من غير تقييد بالفائدة الأخروية فحسب. كقوله تعالى: ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ١٨٤﴾ [البَقَرَة: ١٨٤]. فهو خير دينًا ودنيا. وقول رسول الله ﷺ لأبي أمامة رضي الله عنه حين جاءه فقال: يا رسول الله، مرني بعمل. قال: «**عليك بالصوم؛ فإنه لا عدل له**». قلت: يا رسول الله، مرني بعمل. قال: «**عليك بالصوم؛ فإنه لا عدل له**». قلت: يا رسول الله، مرني بعمل. قال: «**عليك بالصوم؛ فإنه لا مثل له**»(١). وفي رواية للنسائي: مرني بأمر ينفعني الله به. فقال: «**عليك بالصوم؛ فإنه لا عدل له**». وهذا يمكن أن يشمل النفع الديني والدنيوي، والله أعلم.

أيها الأحباب الفضلاء، إن الأطباء بعد دراسات وأبحاث قاموا بها وحالات مرضية عالجوها وصلوا إلى نتيجة مهمة ألا وهي: أن الجسم بحاجة شديدة إلى ممارسة الصيام، فقد «ثبت أن الصيام ظاهرة طبيعية يجب للجسم أن يمارسها حتى يتمكن من أداء وظائفه الحيوية بكفاءة، وأنه ضروري جداً لصحة الإنسان، تمامًا كالأكل والتنفس والحركة والنوم، فكما يعاني الإنسان بل يمرض إذا حُرم من النوم أو الطعام لفترات طويلة، فإنه كذلك

---

(١) رواه النسائي وابن خزيمة، وهو صحيح.

لا بد أن يصاب بسوء في جسمه لو امتنع عن الصيام»[١].

وهذا في حق من لم يؤدِ به الصيام إلى الضرر لمرض فيه؛ ولهذا عذر الله المريض من الصيام فقال: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البَقَرَة: ١٨٤].

عباد الله، إننا في رمضان نؤدي عبادة الصيام لمدة شهر كامل من السنة، وذلك يمثل إجازة للراحة لجهازنا الهضمي. ومن المتعارف عليه في واقع حياتنا أن الشركات والمؤسسات العامة والخاصة قد تعودت على أن تعطي موظفيها إجازة سنوية من شهر إلى شهرين، ومن غايات ذلك: إعطاؤهم فرصة زمنية للتخفيف من وطأة العمل وهمومه؛ حتى يجددوا نشاطهم في تلك الإجازة ليعودوا إلى العمل بحيوية وجِد.

وجهازنا الهضمي موظف نشط يعمل في أجسامنا ليل نهار، فهو يحتاج إلى إجازة أيضًا؛ فلذلك كان شهر رمضان إجازةَ العام لهذا الجهاز حتى يستريح، ليعود بعد ذلك إلى عمله بنشاط.

لكن هذا لا يتحقق إلا إن صام الإنسان صومًا صحيحًا؛ بحيث يقلل من الطعام والشراب في الليل، أما إذا أكثر من ذلك، وسامَ نفسَه في مراتع شهواتها التي تطلبها فإنه لم يعط لجهازه الهضمي إجازة حتى في رمضان!

أيها الصائمون، لقد ذكر الأطباء فوائد صحية عديدة للصيام، خصوصًا صيام رمضان، ولم يكن هؤلاء الأطباء من المسلمين فقط، بل ذكر ذلك أطباء كثر من غير المسلمين. بل حتى الأطباء والحكماء القدامى أمثال: سقراط وأفلاطون وأرسطو وجالينوس، فقد أكدوا أن الصيام هو الطريق

---

(١) أسباب الشفاء من الأسقام والأهواء «ص: ١٩».

الطبيعي للشفاء من الأمراض[(١)].

ونحن في الإسلام -ولله الحمد- لا نعرف الصيام في رمضان فحسب، بل الصيام مشروع لنا-نحن المسلمين- ومستحب طوال العام. ففي الأسبوع يستحب صيام الاثنين والخميس، وفي الشهر يستحب صيام ثلاثة أيام، وفي السنة يستحب صيام ست أيام من شوال، ويوم عرفة، ويوم عاشوراء، والإكثار من الصيام في محرم وشعبان، كما يستحب صيام يوم وإفطار يوم كغاية قصوى اتباعًا لسنة النبي ﷺ.

فلذلك تظل صحة المسلم متجددة بالصيام؛ لأن الجسم إذا بقي مستهلكًا للطعام خاصة من يستطيع أن يأكل ما يشاء بالقدر الذي يريد؛ فإن لذلك أضراراً كثيرة على بدنه.

لقد ذكر الأطباء فوائد صحية كثيرة للصوم، فمنها:

أنه «يساعد الجسم على القيام بعملية الهدم التي يتخلص فيها من الخلايا القديمة وكذلك الخلايا الزائدة عن حاجته»[(٢)].

والصيام خير فرصة لخفض نسبة السكر في الدم إلى أدنى معدلاتها، وعلى هذا فإن الصيام يعطي غدة البنكرياس فرصة رائعة للراحة، فالبنكرياس يفرز الأنسولين الذي يحول السكر إلى مواد نشوية ودهنية تخزن في الأنسجة، فإذا زاد الطعام عن كمية الأنسولين المفرزة فإن البنكرياس يصاب بالإرهاق والإعياء، ثم أخيراً يعجز عن القيام بوظيفته، فيتراكم السكر في الدم وتزيد معدلاته بالتدريج حتى يظهر مرض السكر»[(٣)].

---

(١) روائع الإعجاز الطبي في القرآن والسنة «ص: ٢٤».

(٢) موسوعة العلاج بالأعشاب «ص: ١٣».

(٣) أسباب الشفاء من الأسقام والأهواء «ص: ٢٢».

ومن فوائد الصيام الصحية: أنه أحسن علاج لمن يعانون من مرض السمنة وثقل الوزن، فهو «أقدر طبيب تخسيس وأرخصهم على الإطلاق؛ فإن الصيام يؤدي حتمًا إلى إنقاص الوزن، بشرط أن يصاحبه اعتدال في كمية الطعام في وقت الإفطار، وألا يتخم الإنسان معدته بالطعام والشراب بعد الصيام، لقد كان رسول الله ﷺ يبدأ إفطاره بعدد من التمرات لا غير، أو بقليل من الماء، ثم يقوم إلى الصلاة، وهذا الهدي هو خير هدي لمن صام عن الطعام والشراب ساعات طوالاً، فالسكر الموجود في التمر يشعر الإنسان بالشبع؛ لأنه يمتص بسرعة إلى الدم، وفي نفس الوقت يعطي الجسم الطاقة اللازمة لمزاولة نشاطه المعتاد»[(١)]. والإنسان حين يبدأ الصيام «تبدأ الخلايا الضعيفة والمريضة أو المتضررة في الجسم لتكوّن غذاءً لهذا الجسم حسب قاعدة: (الأضعف سيكون غذاءً للأقوى). وسوف يمارس الجسم عملية الهضم الآلي للمواد المخزنة على شكل شحوم ضارة، وسوف يبدأ بالتهام النفايات السامة والأنسجة المتضررة ويزيل هذه السموم»[(٢)].

ومن فوائد الصيام الصحية: أنه «يفيد في علاج الأمراض الجلدية والسبب في ذلك أنه يقلل نسبة الماء في الدم فتقل نسبته بالتالي في الجلد، مما يعمل على:

- زيادة مناعة الجلد ومقاومة الميكروبات والأمراض المعدية الجرثومية.
- التقليل من حدة الأمراض الجلدية التي تنتشر في مساحات كبيرة في الجسم مثل مرض الصدفية.
- تخفيف أمراض الحساسية والحد من مشاكل البشرة الدهنية.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) روائع الإعجاز الطبي في القرآن والسنة «ص: ٢٦».

- مع الصيام تقل إفرازات الأمعاء للسموم وتتناقص نسبة التخمر الذي يسبب دمامل وبثوراً مستمرة»[(١)].

ومن فوائد الصيام الصحية: «أنه يساعد على شفاء آلام الظهر والعمود الفقري والرقبة. وقد أوضحت دراسة نروجية أن الصوم علاج ناجع لالتهاب المفاصل بشرط أن يستمر الصوم لمدة أربعة أسابيع»[(٢)].

وتأملوا -إخوة الإسلام- إلى هذا التحديد: أربعة أسابيع!! يعني: شهراً كاملاً كرمضان.

إن آلام المفاصل مرض يتفاقم مع مرور الوقت، فتنتفخ الأجزاء المصابة به، ويرافق الانتفاخَ آلام مبرِّحة... وقد ثبت بالتجارب العلمية في بلاد روسيا أنه يمكن للصيام أن يكون علاجا حاسما لهذا المرض، وقد أرجعوا هذا إلى أن الصيام يخلص الجسم تمامًا من النفايات والمواد السامة، وذلك بصيام متتابع لا تقل مدته عن ثلاثة أسابيع، وفي هذه الحالة فإن الجراثيم التي تسبب هذا المرض تكون جزءاً مما يتخلص منه الجسم أثناء الصيام، وقد أجريت التجارب على مجموعة من المرضى وأثبتت النتائج نجاحًا مبهراً[(٣)].

أيها الإخوة الفضلاء، ومن فوائد الصيام الصحية: أنه يؤدي إلى نقص مادة الكوليسترول. فقد أكد كثير من الباحثين الطبيين وأغلبهم غير مسلمين أن الصوم لكونه ينقص من الدهون في الجسم فإنه يؤدي إلى نقص مادة (الكوليسترول). والكوليسترول: مادة تترسب على جدار

(١) روائع الإعجاز الطبي في القرآن والسنة «ص: ٢٨».

(٢) موسوعة العلاج بالأعشاب «ص: ١٦».

(٣) أسباب الشفاء من الأسقام والأهواء «ص: ٢٥».

الشرايين، وبزيادة معدلاتها مع زيادة الدهون في الجسم تؤدي إلى تصلب الشرايين، كما تسبب تجلط الدم في شرايين القلب والمخ[١].

ومن فوائد الصيام الصحية: أنه «أفضل سلاح لاستئصال المواد السامة من الجسم؛ فإن الإفطار على التمر المقاوم للسموم هو بحق علاج متكامل للضعف والوهن الناتج من تراكم المواد السامة والمعادن الثقيلة في خلايا الجسم»[٢].

«يقول أحد الأطباء: يدخل إلى جسم كل واحد منا في فترة حياته من الماء الذي يشربه فقط أكثر من مئتي كيلو غرام من المعادن والمواد السامة!! وكل واحد منا يستهلك في الهواء الذي يستنشقه عدة كيلوغرامات من المواد السامة والملوثة مثل: أكاسيد الكربون والرصاص والكبريت»[٣].

وهذه السموم تنعكس سلباً على جسد الإنسان، وقد تكون سببًا لكثير من الأمراض، والعلاج لهذا هو استخدام سلاح الصوم الذي يقوم بصيانة هذه الخلايا وتنظيفها. والتنظيف المستمر للخلايا باستخدام الصيام يؤدي إلى إطالة عمر هذه الخلايا وبالتالي تأخر الشيخوخة لدى من ينتظم في الصيام. حتى إن حاجة الجسم من البروتين تخف خلال الصيام إلى الخُمس! وهذا ما يعطي قدراً من الراحة للخلايا[٤].

ومن فوائد الصيام على صحة البدن كذلك: أنه «وسيلة جيدة لعلاج الربو وأمراض الجهاز التنفسي»، وعلاج للأمراض القلبية وتصلب الشرايين،

(١) المصدر السابق.

(٢) روائع الإعجاز الطبي في القرآن والسنة «ص: ١٩».

(٣) المصدر السابق «ص: ٢٤».

(٤) روائع الإعجاز الطبي في القرآن والسنة «ص: ٢٤،٢٧».

وعلاج لأمراض الكبد مهما كان نوعها، فقد أثبت الصوم قدرته على علاجها بدون آثار سلبية، وهو وقاية من مرض الحصى الكلوية، وعلاج الأمراض للسرطان(١).

بل إن مرضى السرطان الذين يصومون ثلاثة أيام قبل خضوعهم للعلاج الكيميائي يساعد صيامهم على حماية خلايا الجهاز المناعي من التلف الذي يسببه العلاج.

ومما ذكره الأطباء أيضًا: أن الصوم يعتبر السلاح الأول في الطب الوقائي، فهو يحسن أداء أجهزة الدفاع لدى الجسم ويقوّي نظام المناعة، ويزيل عن الجسد المواد الضارة(٢).

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) المصدر السابق «ص: ٢٨».

(٢) روائع الإعجاز الطبي في القرآن والسنة «ص: ٢٨،٢٩».

الخطبة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد:

أيها المسلمون، كما أن للصيام فوائد صحية على البدن، فإن له فوائد صحية كذلك على النفس يذكرها أطباء النفس والمتخصصون في دراسة علم النفس.

فالصيام «علاج للاضطرابات النفسية القوية مثل الفصام، حيث يقدم الصوم للدماغ وخلايا المخ استراحة جيدة، وبنفس الوقت يقوم بتطهير خلايا الجسم من السموم، وهذا ينعكس إيجابياً على استقرار الوضع النفسي لدى الصائم. حتى إن مدير وحدة الصوم في معهد موسكو النفسي قد عالج أكثر من سبعة آلاف مريض نفسي باستخدام الصوم، حيث استجاب هؤلاء المرضى لدواء الصوم فيما فشلت وسائل العلاج الأخرى، وكانت معظم النتائج مبهرة وناجحة! واعتبر أن الصوم هو الدواء الناجع لكثير من الأمراض النفسية المزمنة مثل مرض الفصام والاكتئاب والقلق والاحباط.

وقد أكدت إحدى المجلات الطبية اليابانية في دراسة لها أن الصيام يحسِّن قدرتنا على تحمل الإجهادات وعلى مواجهة المصاعب الحياتية، بالإضافة للقدرة على مواجهة الإحباط المتكرر-وما أحوجنا في هذا العصر المليء بالإحباط أن نجد العلاج الفعال لمواجهة هذا الخطر!- كما أن الصوم يحسن النوم ويهدّئ الحالة النفسية»[١].

---

(١) روائع الإعجاز الطبي في القرآن والسنة «ص: ٢٥».

ومن فوائد الصيام على صحة النفس: أنه ينمي قدرة الإنسان على التحكم في الذات ويدربه على ترك عادات سيئة ويمنحه الفرصة على اكتساب ضوابط جديدة في السلوك تنعكس إيجابيًا على شخصيته، وهناك قانون نفسي يقول: (كثرة التدرب على سلوك جديد يؤدي إلى ثباته).

ومن فوائد الصيام النفسية: أنه يعلمنا أن نتجاوز أنانية الذات، فنفكر في الآخرين من الفقراء والمحتاجين، وذلك عندما نحس بآلام الجوع وتعب فَقْد الحاجة، فنذكر غيرنا ممن يعانيها طوال السنة. وهذا يفيد في ضبط الرغبة، ويدعو إلى التضامن الاجتماعي، فيعمل ذلك على إنماء شخصية الإنسان وتكاملها لتكون على أجمل حالاتها في الصحة الروحية والعقلية، والجسدية والنفسية.

أيها الإخوة الفضلاء، ومن فوائد الصيام النفسية: أنه يقلل من النزعة الاستهلاكية التي أصبحت هي السائدة في نمط العيش الحديث، فلقد أشار بعض الأطباء النفسيين إلى سلبية خطيرة تنخر نفسية الإنسان تتمثل في طغيان رغبات التملك والاستهلاك المصحوبة بالقلق النفسي. ومن منظور نفسي أكدت بعض الأبحاث أن ارتفاع معدلات الاكتئاب يتناسب مع ارتفاع الاختيارات الاستهلاكية وتعددها، وعدم قدرة الناس على ضبط رغباتهم وكبحها؛ ولهذا نصحت الكثير من الأبحاث بالتدرب على كبح الشهوات الغريزية والسيطرة على الرغبات عن طريق الصوم.

ومن فوائد الصيام النفسية: أنه برنامج ارتقائي يعين على ضبط نوازع الشر داخل الإنسان؛ ولهذا أوصى رسول الله ﷺ الصائم بتجنب أخلاق سيئة، ولزوم أخلاق حسنة أثناء صيامه؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال الله عز وجل: كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا**

أجزي به. والصيام جُنَّة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني صائم إني صائم»[١]. وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: **«ليس الصيام من الأكل والشرب، إنما الصيام من اللغو والرفث، فإن سابك أحد أو جهل عليك فقل: إني صائم إني صائم»**[٢]. وقال: **«رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش»**[٣].

ومن الجدير بالذكر أنه أُنشئت مراكز كثيرة في دول متعددة كأمريكا والصين وروسيا وكندا وغيرها، منطلقة من فكرة إثارة الانتباه إلى فائدة ضبط الشهوات والتحكم بها عن طريق الصوم.

بل وألِّفت مئات الكتب في علم النفس من مؤلفين غير مسلمين تحث على استخدام الصوم علاجًا نفسيًا.

أيها المسلمون، وبعد هذا العرض لفوائد الصيام البدنية والنفسية كما ذكر الأطباء من المسلمين وغير المسلمين علينا:

أولاً: أن نحمد الله تعالى على نعمة الإسلام، هذا الدين العظيم الذي تظهر روائعه للعالم يومًا بعد يوم، فقد بهر غير المسلمين على اختلاف تخصصاتهم بما فيه من التشريعات التي تشهد بصحتها أبحاثهم ودراستهم العلمية في مختلف المجالات.

وثانيًا: علينا أن نشكر الله تعالى على نعمة الصيام الذي شرعه ربنا لنا من أجل مصلحتنا في الدنيا والآخرة.

وثالثًا: علينا اتباع الهدي الشرعي الصحيح في عبادة الصيام، فنعتدل في تناول الغذاء في ليالي الصيام؛ لأن ذلك هو الطريق الصحيح للحصول

---

(١) رواه ابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما، وهو صحيح.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه الحاكم وابن ماجه والنسائي، وهو حسن.

على تلك الفوائد الصحية السالف ذكرها.

ورابعًا: علينا أن لا نجعل هذه الفوائد الصحية هي غايتنا من الإقبال على الصيام، بل نجعل غايتنا الكبرى القيام بعبادة الله تعالى ورجاء ثوابه وغفرانه، وتلك الفوائد الطبية جوائز معجلة قبل الجائزة الكبرى يوم القيامة.

هذا وصلوا وسلموا على خير البشرية...





عَشرُ الخير والمسابقة(١)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا ١﴾ [النِّسَاء: ١]، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلًا سَدِيدًا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَـٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأَحزَاب: ٧٠ - ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي رسوله محمد بن عبد الله، ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الصائمون، إن الزمان يمضي من غير وقوف، ويسرع دون بطء، ويذهب من دون عودة. والعاقل من اعتبر بسير زمانه وإسراع أوانه، فكشف عن عينيه غشاوة الغفلة، وكسر عن قدميه أغلال المعصية، وأزاح عن حياته رداء الكسل، فنظر إلى طريق الاستقامة، فارتدى ثوب العزم، وأطلق رجليه

---

(١) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في ١٤٣٩/٩/٢٣هـ ٢٠١٨/٦/٨م.

في ذلك الطريق؛ سباقًا إلى الخيرات، واقتناصًا لنفائس الأوقات.

إن الحُذّاق من التجار لا تضيع منهم مواسم الربح الوفير؛ فلذلك يظلون ينتظرون تلك المواسم، فإذا حضرت حرصوا على تحصيل أعلى الأرباح فيها.

ألا وإن رمضان موسم العام لتجار الآخرة، الذين يرجون فيه تجارة عند الله لا تبور، ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور.

عباد الله، لقد مضى من موسم رمضان ثلثاه وتبقى ثلثه وهو خير أثلاثه، وأعظمها خيراً وأكثرها غنيمة.

فيا من فرّط فيما مضى اغتنم ما بقي من رمضان؛ فأمامك متسع من الوقت لتعويض ما فات من الأجر، ومحو ما سبق من الوزر. ويامن أبطأ في ثلثي شهره فهذا ثلثه الأخير يفتح مضمار السباق لك، فسابق؛ فلعلك أن تسبق غيرك؛ فليست العبرة بحسن البداءة، بل العبرة بحسن الانتهاء. ويامن سابق وجدّ واجتهد في الثلثين الماضيين استمرْ وضاعفْ اجتهادك، وإياك والفتور؛ فإنما العبرة بالخواتيم، وإن الخير فيما بقي أعظم من الخير الذي قد سلف، والسابق من حاز قصب السبق في نهاية المضمار، وليس من تقدم سواه في أوله.

أيها المسلمون، إن الاستمرار في الطاعة هو ديدن المتقين، الراغبين في نيل الدرجات العلى، الذين يأخذون الأمر بعزم، ويقبلون على الخير بجِد في كل الأوقات، فكيف في أزمنة المضاعفة والبركة.

فلذلك هم مسابقون إلى الخيرات، منتهزون فرص الأعمال الصالحات التي لها مزية في الزمان أو المكان.

وقد حَداهم إلى هذه المسابقة أمرُ ربهم القائل: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣﴾ [آل عِمرَان : ١٣٣] .

فالجنة غايتهم التي يرجون، وإلى منازلها العالية يسعون، وإلى رضوان الله فيها يعملون.

فإن من أراد الدار الآخرة لم تلهه الدنيا وأشغالها، ولم يحبسه عن ذلك الهدف لهوُ الحياة وشهواتها، ولم يقعده عن الإسراع في طريقها فتور ولا كسل، ولا قلة رغبة في أعمالها ووسائل السعادة فيها.

ومن تفكر فيما ينتظر العصاةَ بعد الدنيا لم ينم في حضن اللهو، ولم يستلن مهاد الغفلة، ولم يعش إلا على كف الحذر واليقظة، حتى يستقر في الجنة. قال رسول الله ﷺ: «**من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل**»(١).

أيها الأحباب الكرام، لقد أطلت علينا العشر الأواخر من شرفات رمضان تدعونا إلى النظر إليها والاعتناء بها. فهي عشر الخيرات والبركات، وزمن خصب بالطاعات والقربات.

إنها عشر السابقين التي تعرف فيها عزائم المجدِّين، وإقبال المتقين، وفيها يُعرف طلاب الآخرة من طلاب الدنيا، وأهل الاجتهاد من أهل الكسل.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر أحيا الليل، وأيقظ أهله، وجدّ وشد المئزر»(٢).

وعنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره»(٣).

إن هذه العشر المباركة هي عشر العبادة، والعكوفِ في محراب الطاعة، والانشغال بالخالق عن الخلائق.

---

(١) رواه الترمذي، وهو صحيح.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه مسلم.

إنها عشر الأُنس بالله، وتفريغ القلب والفكر والوقت من كل شغل إلا الشغل برب العالمين، تقربًا إليه، وإقبالاً عليه.

إنها عشر هجر الدنيا التي عمر حبها القلوب، وأعمى الشغف بها العيون، وقطع وصالها الطريق إلى الودود، وخرّب تعميرُها البناءَ للآخرة.

فيا من شغلته الأيام والليالي بحاجات الدنيا طُوال عامه، تفرَّغْ من سَنتك هذه الأيام والليالي لتعمرها بالطاعة الخالصة الكثيرة؛ لتستدرك بها ما فات، وتسقط عن كاهلك ثقل السيئات، وتملأ صحيفة أعمالك بالحسنات، وتصقل قلبك من أدران الشهوات، وترقّي روحك إلى المنازل العاليات.

عن أبي هريرة ﵁ قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله تعالى: ابنَ آدم، تفرّغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسد فقرك، وإلا تفعل ملأت صدرك شغلاً ولم أسدّ فقرك**»(١).

أيها المسلمون، إن هذه العشر الأخيرة من رمضان قد امتازت على غيرها بمزايا حسان، جعلتها خير الليالي، وأيامها من خير الأيام.

فمن مزايا هذه العشر: استحباب الاعتكاف فيها، حبسًا للنفس على عبادة الله تعالى زمنًا معينًا في مسجد جامع يتفرغ فيه العبد المعتكف للتقرب إلى الله سبحانه.

والاعتكاف سنة من سنن رسول الله ﷺ؛ فعن عائشة ﵂ زوج النبي ﷺ: «**أن النبي ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله، ثم اعتكف أزواجه من بعده**»(٢).

وعن أبي هريرة ﵁ قال: «كان النبي ﷺ يعتكف في كل رمضان عشرة

(١) رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم، وهو صحيح.

(٢) متفق عليه.

أيام، فلما كان العام الذي قبض فيه اعتكف عشرين يومًا»[١]. حرصًا منه ﷺ على إدراك الخير، وختم العمر بكثرة الطاعة والعبادة.

إن الاعتكاف -**معشر المسلمين**- عبادة مقصودها تفرغ القلب لله، وشغل الوقت بكثرة التقرب إليه.

قال ابن القيم: «لما كان صلاح القلب واستقامته على طريق سيره إلى الله تعالى متوقفاً على جمعيته على الله ولم شعثه بإقباله بالكلية على الله تعالى؛ فإن شعث القلب لا يلمه إلا الإقبال على الله تعالى ، وكان فضول الطعام والشراب وفضول مخالطة الأنام وفضول الكلام وفضول المنام مما يزيده شعثًا ، ويشتته في كل واد ويقطعه عن سيره إلى الله تعالى ، أو يضعفه أو يعوقه ويوقفه؛ اقتضت رحمة العزيز الرحيم بعباده أن شرع لهم من الصوم ما يذهب فضول الطعام والشراب ويستفرغ من القلب أخلاط الشهوات المعوقة له عن سيره إلى الله تعالى ، وشرعه بقدر المصلحة بحيث ينتفع به العبد في دنياه وأخراه ولا يضره ولا يقطعه عن مصالحه العاجلة والآجلة. وشرع لهم الاعتكاف الذي مقصوده وروحه عكوف القلب على الله تعالى ، وجمعيته عليه والخلوة به والانقطاع عن الاشتغال بالخلق والاشتغال به وحده سبحانه بحيث يصير ذكره وحبه والإقبال بدلها ، ويصير الهم كله به والخطرات كلها بذكره والتفكر في تحصيل مراضيه وما يقرب منه، فيصير أنسه بالله بدلاً عن أنسه بالخلق، فيعده بذلك لأنسه به يوم الوحشة في القبور، حين لا أنيس له ولا ما يفرح به سواه، فهذا مقصود الاعتكاف الأعظم »[٢].

أيها الإخوة الفضلاء، إن على المعتكف أن يشغل وقته بكثرة العبادة،

---

(١) رواه البخاري.

(٢) زاد المعاد «٢/ ٨٢».

ويملأ فراغه بأنواع الطاعة؛ ليحظى بتنوع التقرب، ويسلم من إقعاد السأم والفتور.

فما أحسن أن يقتطع من وقته نصيبًا وافراً لقراءة القرآن، قراءة يحضرها التدبر وطلبُ العمل بما تدعو إليه الآيات.

ويخص أيضًا صلاة النافلة بجزء من الوقت في ليل اعتكافه ونهاره، فقد كان بعض الصالحين يصلي في اليوم والليلة ثلاثمائة ركعة(٣).

كما على المعتكف أن يكثر من ذكر الله تعالى؛ من تهليل وتحميد، وتكبير وتسبيح، وحوقلة (قول: لا حول ولا قوة إلا بالله)، وحسبلة (قول: حسبي الله ونعم الوكيل).

ولا ينسى أن يجعل حظًا كبيراً من الوقت للدعاء والإلحاح على الله؛ فإنه قد لا يجد في أيام سنته وقتًا أصفى له من أيام الاعتكاف. وكم للإنسان من آمال يروم بلوغها، وآلام يطلب زوالها. وليكن أوفر دعائه فيما يبلغه رضوان الله وجنته، ويخلصه من عذابه وغضبه، فأما مطالب الدنيا فإنه لن ينساها.

عن عطاء قال: «إن مثل المعتكف مثل المُحرم ألقى نفسه بين يدي الرحمن فقال: والله لا أبرح حتى ترحمني!» (٤).

وما أجمل أن لا يخلو وقت المعتكف من زمن يخلو فيه بنفسه للتفكر والمحاسبة، فيتفكر في ماضيه فيصلح ما أفسد فيه، ويستغفر الله تعالى على اقترف في أيامه ولياليه، ويؤدي الحقوق التي عليه لأهلها. ويفكر في حاضره فإن كان على الجادّة استمر وثبت، وإن كان على غيرها عدل سيره

(٣) كالعابد الجنيد، رَحِمَهُ ٱللَّهُ، طبقات الشافعية الكبرى «٢/ ٢٦١»، صفة الصفوة «٢/ ٤١٦».

(٤) شعب الإيمان «٣/ ٤٢٦».

واستقام، ويفكر في مستقبله فيعزم على فتح صفحة بيضاء مع الله تعالى، صفحة مشرقة بالعمل الصالح، لا يقع عليها مداد الخطيئة، فإن وقع فيها في ساعة غفلة أو غلبة شهوة سارع إلى محوه.

وفي ذلك الجو المعمور بالإيمان ينبغي أن ينتقل باله إلى التأمل في قصر هذه الحياة وذهابها بمجيء الموت الذي يرحل به من دار العمل إلى دار الحساب الذي يحاسب فيها على الصغيرة والكبيرة.

وليحذر المعتكف أن يضيع وقته الثمين في القيل والقال، والتلهي بسفاسف الأعمال، والحديث عن الناس وكثرة مخالطتهم والانشغال بهم. وليتجنب صرف وقته في التنقل بين صفحات الجوال، ومطالعة كل ما وصل إليه، وكثرة التواصل مع الآخرين؛ فإن ذلك سرقة لوقته الثمين، فإن كان لحاجة أو منفعة في وقت قصير فلا بأس.

فما أسعد معتكفًا عمر الزمان بالإسراع إلى الخير، والإبطاء عن الشر، والانشغال عن الناس برب الناس، وأبعد نفسه عن تضييع الزمان الشريف فيما لا يعود عليه بخير!

أيها الأحباب الفضلاء، ومن مزايا هذه العشر المباركة: حصول ليلة القدر فيها. هذه الليلة التي شرفها الله تعالى بنزول القرآن فيها من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا، كما قال ابن عباس[1]. فقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١﴾ [القدر: ١]، وعظّم شأنها وفخّمه فقال: ﴿مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ٢﴾ [القدر: ٢]، هذه الليلة التي جعلت العبادة فيها أفضل من العبادة في ألف شهر ليس فيها ليلة قدر، فقال: ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ٣﴾ [القدر: ٣]، هذه الليلة التي يحصل فيها الاحتفال الكبير في الأرض ويحضره

---

(١) الإتقان في علوم القرآن «١/ ١٤٧».

سكان السماء من الملائكة مع سيدهم جبريل، فيعمرون الأرض مؤمِّنين على دعاء المؤمنين«[١]»، قال تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ٤﴾[القدر: ٤]، هذه الليلة التي يقدر الله فيها ما يكون للناس في سنتهم من الأرزاق والآجال والأعمال، كما روي ذلك عن غير واحد من السلف[٢]. قال تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ٤﴾، وقال: ﴿فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ٤ أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ٥﴾ [الدُّخان: ٤ - ٥].

هذه الليلة لأهل الإيمان ليلة خير وسلام، وبر وأمان، قال تعالى: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ٥﴾[القدر: ٥]، هذه الليلة بخيرها وبركاتها ليلة كاملة ممتدة من غروب الشمس إلى طلوع الفجر ﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ٥﴾[القدر: ٥].

هذه الليلة الموفّق من حاز فضلها وخيرها، والمحروم من حرم من ذلك، قال رسول الله ﷺ: «**إن هذا الشهر قد حضركم، وفيه ليلة خير من ألف شهر، من حرمها فقد حرم الخير كله، ولا يحرم خيرها إلا محروم**»[٣].

هذه الليلة من قامها بالعمل الصالح ابتغاء وجه الله، غفرت له ذنوبه السالفة، قال النبي ﷺ: «**من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا، غُفر له ما تقدم من ذنبه**»[٤]. فيا ربح من قام هذه الليلة، ويا لرفعة قدره عند ربه، ويا لشرفه بها يوم لقائه!

عباد الله، فعلى المسلم الحريص على خيرها أن يلتمسها ويتحراها، كما أمر رسول الله ﷺ بقوله: «**التمسوها في العشر الأواخر من رمضان، ليلة**

(١) تفسير القرطبي «٢٠/ ١٣٣».

(٢) تفسير ابن كثير «٤/ ١٦٨».

(٣) رواه ابن ماجه، وهو صحيح.

(٤) متفق عليه.

القدر في تاسعة تبقى في سابعة تبقى في خامسة تبقى»[١].

والخير كل الخير في قيامها في أوتار الليالي وشفعها جميعًا؛ إدراكًا لها من غير فوات، وزيادة في التقرب إلى الله تعالى في جميع تلك الأوقات بأنواع الطاعات. فقد أخفاها الله تعالى حتى يجتهد العباد في الطاعة، فمن قام جميع ليالي العشر فقد ظفر بتلك الليلة وإن لم يعرف أية ليلة هي من تلك الليالي.

ومن العمل الصالح فيها: المداومة على الفرائض، واجتناب المناهي، وكثرة المسابقة إلى النوافل المتنوعة؛ من صلاة وتلاوة وجود وتضرع ودعاء.

ومن الأدعية التي تقال فيها: ما جاء عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: قلت: يا رسول الله، أرأيت إن علمت ليلة القدر ما أقول فيها؟ قال: «**قولي: اللهم، إنك عفو تحب العفو فاعفُ عني**»[٢].

فاحرص -**أيها المسلم**- على قيامها والتعبد فيها، وأجِّلْ من أجل خيرها شواغلَ دنياك إلى وقت آخر.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه الترمذي، وهو صحيح.

الخطبة الثانية

الحمد لله الواحد الأحد، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

أيها المسلمون، إن مواسم الخيرات محكُّ امتحان يُعرف به محبو الآخرة من محبي الدنيا، ويظهر فيها أهل الهمة العالية في طلب الجنة، وأهل العزم المتقد في طلب الحطام الفاني الذي آثروه على النفيس الباقي.

ففي هذه العشر-خاصة لياليها المباركة- يُعلم المسابق إلى الطاعة يومَ هجر دنياه وأقبل على أعمال أُخراه، فأصبح في حالة استنفار نحو العبادة ليس له شغل بسواها. فهو بين صلاة كثيرة يتنفل بها، وتلاوة طويلة يتفيأ تحت ظلال هداياتها، وأيدٍ ترفع إلى السماء دعوات إثر دعوات، وذكر على لسان لا تفتر عنه. يسابق هذا العابد الأواه ساعاتِ العشر ولحظاتها بما استطاع من العمل الصالح، لم يدع من وقته نصيبًا للعبث واللهو، ولا حظًّا للفتور والونى. فليله معمور بالسهر للطاعة، ونهاره مملوء بألوان العبادة، وإن كان له فيه من نوم فهو قليل، يحتسبه عند الله فيصير طاعة؛ لأنه يعينه على العبادة.

عباد الله، فشتان ما بين من هذه حاله في النسك والمسارعة، وبين من لم يجعل لهذه العشر مزية، ولا قدر لها قدرها، ولا عُرف له فيها نزوع إلى الطاعة، وهجران للمعصية. فهو مازال على فراش الفتور مضطجعًا، وعلى ركوب صهوات الخطايا مجدًّاً، وفي بحار الغفلة سابحًا، ولشهوات دنياه طالبًا حريصًا.

بعيد عن رياض الطاعة، غارق في لجج الخطيئة، أسير في قبضة الغفلة.

فالمساجد لا تعرفه، والتلاوة لا تعهده، وصلاة الليل تجهله، وأما الدعاء والإلحاح فيه فلم يطرق له بابًا ولم يخطر له على بال.

لكنه ليس غائبًا، فهو بين أصدقاء الضياع حاضر، وأمام شاشات التلفاز والجوال، عاكف، يتقلب من لهو إلى لهو، ومن جريرة إلى أخرى. والجميع في حصاد فهو في حصاد السيئات، والصالحون في حصاد الخيرات.

فيا من كان هذه حاله أفِقْ مهرقًا كؤوس الفتور، واصحُ من سكر الغفلة، وعدّل سيرك المعوج، وأقبل على ربك تائبًا راغبًا في فضله عبر بوابة الطاعة والإنابة؛ فإنك ستجده بك رحيمًا، وبقدومك فرحًا، ولك مكرمًا، وعليك مسديًا فضله، وإليك سائقًا خير الدنيا والآخرة إن صدقت في الرجوع إليه.

هذا وصلوا وسلموا على خير البرية...



وداع رمضان (١)

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبعونه تُنال المنى وتُبلغ الغايات، حمداً طيباً مباركاً فيه ملء الأرض وملء السماوات، وملء ما شاء ربنا من شيء بعد.

له الحمد كما ينبغي لوجهه وعظيم سلطانه، وله الشكر على جزيل كرمه، ووافر امتنانه، له الحمد في أول الأمر وآخره، وباطنه وظاهره ، وعلنه وسره، وحلو القدر ومره، له الحمد كما حمد نفسه وفوق ما يحمده خلقه.

وأشهد أن لا إله إلا الله الحي القيوم الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون، الذي لا يزال على العرش مستويا، وفي الوجود حيا باقيا، لا يزول ولا يحول، وخلقه في تحول وزوال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [القَصَص : ٨٨] .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، خاتم الأنبياء والمرسلين، وإمام الأصفياء والمتقين، من عبد ربه حتى أتاه اليقين، فصلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فاتقوا الله -**عباد الله**- وداوموا عليها في كل زمان ومكان، كما قال تعالى لسيد المتقين-عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ-: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ

---

(١) ألقيت في مسجد ابن تيمية في ٢٦/ رمضان/ ١٤٢٩هـ ٢٦/٩/٢٠٠٨هـ

وَٱلْمُنَٰفِقِينَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ [الأحزاب: ١].

أيها الصائمون، اعلموا -رحمني الله وإياكم- أن الدهر يمضي ولا يعود، وأن أيامه تجري تباعاً بلا سكون، حلوها ومُرُّها، وخيرها وشرها، وهي غنيمة باردة لمن سابقها فسبقها أو أدركها، والحياة مهلة واحدة لا تتكرر، والفرص متحولة لا ترجع، والآجال خطّافة، لا تريّث ولا تمهل.

يركض الزمان بالإنسان لينقله من مكانه الموقوت حتى يستقر في موطنه الخالد: إما الجنة وإما النار.

كلما بلغ الدنيوي مدة من العمر نقص نصيبه من الحياة الدنيا؛ فإنه كلما زاد نقص، وإذا امتد مكثه قرُب نكثه.

لكل شيء إذا ما تم نقصان	فلا يُغرّ بطيب العيش إنسان
وهذه الدار لا تبقي على أحد	ولا يدوم على حال لها شان

عباد الله، لقد دنت ساعات الرحيل، وبدت أمارات التوديع من الضيف الكريم.

فبينا قبل أيام قلائل نستقبله بشوق وتلهف، إذا بنا نودعه بحزن وتأسف.

نعم، نودعه بالحزن على تلاوته وصيامه، وسخائه وقيامه، وتطهيره للنفس ورفعه للروح على مراقي السعود إلى سعادات الدنيا والآخرة.

فوا أسفاه على تلك الرياض النضرة، والنسائم العطرة؛ فالمسرة لا تدوم.

كانت تلك الأيام والليالي لحظات سعيدة مرت وسرعان ما قربت من الأفول؛ فساعات الحلاوة دقائق.

أيها الصائمون، ها هو رمضان على وشك أن يرفع مائدته المباركة بعد أن مدها لباغي الخير، فهلا امرؤ منا وقف عند هذا الفراق وقفة محاسبة

وتأمل فيما قدم في الأيام والليالي القريبة الخالية.

هلا سأل الصائم نفسه كيف كان صيامه؟ أكان صوماً يرضي ربه تعالى: نوى به القربة والزلفى، لا الموافقة والمجاراة للناس؟ وهل وصل صيامه عند الخاتمة سالماً من الجروح التي تخدش الصيام كسيئ القول والعمل؟

ما كان نصيبه من التلاوة، والقيام، والصدقة، وبذل الخير للناس؟

هل رق قلبه، ودمعت عيناه، وطابت نفسه، وارتفعت روحه، وصلحت جوارحه؟

هل غير رمضان حياته إلى الأفضل، أو أن رمضان كغيره من شهور العام؟

فمن وجد من المحاسبة في نفسه وعمله خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه.

أيها الصائمون، ها هو شهر الصيام يلوح بالوداع، ويوشك أن يذهب عنا فماذا تعلمنا من هذا المعلّم النافع؟

لقد علمنا رمضان أن الإنسان ضعيف مهما كان قوياً ؛ ففقدُ اللقمة والشربة يُنهكه، وتضييق مجال الشهوة قد يتعبه، فهو فقير الحاجات، فلماذا تستغني عن ربك يا ابن ادم، وأنت فقير إليه!

وأظهر لنا رمضان جانباً من جوانب رحمة الخالق الرازق بعباده حيث هيأ لهم الطعام والشراب الذي يحفظ بقاءهم، ويجدون فيه لذتهم وراحتهم، مذكراً لنا -ونحن نتقلب في هذه النعمة متناولين ما نشاء مما أباح لنا- أقواماً لا يجدون ما نجد، حتى أصبح الجوع والحاجة شعارهم ودثارهم طوال العام.

وعلمنا معلمنا الحبيب رمضان أن السعادة الحقيقية هي سعادة الروح لا سعادة البدن، وأن ظن السعادة بظاهر الحياة ولذائذها الحسية ظن كاذب وبرق خلب: لا غيث فيه.

ففي رمضان تتجلى السعادة الروحية في صيام صادق، ومناجاة خاشعة، وتلاوة متدبرة، وكف سخية في دروب البر.

وعلمنا رمضان أن النفس لا تصلح إلا بكبح جماحها، ومنعها أهواءها، وحبسها عن طيشها ، وعدم مجاراتها في شهواتها.

وأنك مهما تعط نفسك سؤلها ** تمنت وتاقت إلى كل مطلب

ألا ما أنفع تلك الليالي الأخيرة من رمضان ونفس الصالحين مجدة، والقلب خاشع، والطرف دامع، والكف ممدودة إلى السماء، والأقدام منصوبة بين يدي الله تعالى، وبركات تلك الليالي تتنزل فتكسو الوجوه ألقا، والصدور انشراحا، والنفس زكاة وطهرة.

وآهٍ من المسلمين حين لم يتعلموا من رمضان الاتحاد وجمع الكلمة- وهو يجمعهم بالصيام في شهر واحد في العام-؛ لينهضوا من كبوتهم؛ ويصلحوا بذلك دينهم ودنياهم.

أيها الصائمون، إن رمضان سوق كثيرة الخيرات، وبضاعتها معروضة لمن شاء، يردها الناس فيصدرون بين رابح وخاسر.

وربحها وافر مضاعف، وخسرانها عظيم لو عرفه أهل الخسارة لتقطعت قلوبهم على خيره حسرات.

فالرابحون في رمضان هم الصائمون المخلصون، والتالون المتدبرون، والقائمون الخاشعون، والكرماء الباذلون لأهل الحاجة ابتغاء وجه الله تعالى.

والرابحون في رمضان من جعلوا رمضان مزرعة لخير تتدلى عليهم ثمراته في الدنيا باستقامة تعقب رمضان، وأجر ومثوبة في يوم الحساب.

وأما أهل الخسارة فهم المضيعون لحظ أرواحهم فيه، الذين فاتتهم فضائله، وتجاوزتهم نوائله.

الخاسرون فيه هم من أفطروا نهاره، وقضوا ليله في اللهو والعبث.

والخاسرون في رمضان من صاموا عما أباح الله تعالى، وأفطروا على ما حرم الله ﷻ من هتك الأعراض بالطعن والبطش والتعدي.

الخاسرون في رمضان هم الذين لم تعرفهم المساجد، ولم تألف المصاحف، ولم يعرفهم القيام، ولم تدركهم ليلة القدر، ولم تعتق رقابهم من النار.

أهل الخسارة في رمضان هم الذين لم يعرفوا من رمضان إلا كثرة النوم والكسل، والتوسع في المشرب والمأكل، والسياحة في عالم اللهو عبر الفضائيات أو صفحات الشبكة العنكبوتية، ناموا نهارهم وسهروا ليلهم في جلسات عابثة أو مجالس آثمة.

فماذا لو عرف الخاسرون قدر خسارتهم، ونتيجة تفريطهم، لا شك أنه سيشتد حزن من كان له قلب وتعظم تأسفه.

عن أبي هريرة أن النبي ﷺ صعد المنبر فقال: «**آمين آمين آمين**» قيل: يا رسول الله، إنك حين صعدت المنبر قلت: آمين آمين آمين؟! قال: «**إن جبريل أتاني فقال: من أدرك شهر رمضان ولم يغفر له فدخل النار فأبعده الله قل: آمين فقلت: آمين، ومن أدرك أبويه أو أحدهما فلم يبرهما فمات فدخل النار فأبعده الله قل: آمين فقلت: آمين، ومن ذكرت عنده فلم يصل عليك فمات فدخل النار فأبعده الله قل: آمين فقلت: آمين**»[(١)].

أيها المسلمون، في نهاية كل عمل يكون الأجر، فمن وفّى عمله وفي له أجره، ومن قصر حصد نتيجة تقصيره وتفريطه حرمانا وندما:

---

(١)« » رواه ابن حبان والطبراني، وهو حسن.

غداً توفى النفوس ما كسبت ويحصد الزارعون ما زرعوا
إن أحسنوا أحسنوا لأنفسهم وإن أساءوا فبئس ما صنعوا

أيها الأحبة الصائمون، يوشك البساط أن يُطوى، والحبيب أن يفارق فراق وامق.

ومع تلك اللحظات تحن قلوب المتقين إلى ذلك الحبيب، وتتفجر العيون بمدامع الحزن؛ فقد لا يعود إليهم ولا يعودون إليه؛ فالآجال بيد الله ﷻ.

هكذا -**معشر المسلمين**- تُجمع صحيفة رمضان إلى سجل الذاهب الذي لا يرجع، ويأفل بدر هذه الليالي المقمرة والأيام المشرقة، وليس منا إلا الصبر على الوداع المر لضيف كان كالطيف لم تطل إقامته.

نودعه وحزننا يتبعه، ودموعنا تشيعه، والقلب يَبكيه ولا يُرجعه، وإن العين لتدمع، والقلب ليحزن، وإنا على فراقك يا رمضان لمحزونون:

وداعك مثل وداع الربيـ ـع وفقدك مثل افتقاد الدِّيَمْ
عليك السلام فكم من ندى لقيناه منك وكم من كرمْ

وما نملك إلا أن نقول: سلام عليك يا شهر الجود والصيام، وسلام عليك يا شهر التلاوة والقيام، وسلام عليك يا شهر الجد والالتزام، وسلام عليك يا محفل الطاعات ومحرقة الأوزار والآثام.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه، **أما بعد:**

أيها المسلمون، لقد شرع الله تعالى للمسلم الصائم في ختام شهره شعائر يتقرب بها إلى ربه؛ ليزيد أجره، ويعظم ثوابه.

فمن ذلك: أن الله ﷻ شرع للأمة الإسلامية عيداً بعد صوم رمضان هو عيد الفطر، يفرح فيه الصائم بإتمام صيامه، ويتقاسم السرور مع أقاربه وجيرانه وخلانه، قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يُونُس: ٥٨].

إن العيد شاطئ السلامة بعد رحلة الجد والعمل في شهر الصيام، فحق للصائم أن يسر بأمان الوصول، وحسن النزول.

ومع أنه يفرح إلا أن فرحه مضبوط بالشرع لا يتجاوز ما حده الله تعالى في سمع وبصر ومأكل ومشرب وهيئة.

وليت شعري أي فرح وسرور للخاسرين في رمضان؟

لأن العيد في الحقيقة إنما هو للفائزين فقط؛ ولذلك يعرف تفاوت الناس في رمضان باختلاف أحوالهم بعده.

فأهل التفريط لا يقدرون الشرع حق قدره في العيد حيث يجعلون العيد زمناً للهو والعبث والمعصية، ويعدونه فرجاً لهم من قيد الصيام في رمضان.

فبعد ما كان بعضهم يحافظ على الصلاة في أوقاتها يبدأ بتضييعها من أول ليلة من شوال. وبعد سماع القرآن صار أسير الألحان، وبعد معرفة سبل الخيرات ينهض لسلوك دروب المنكرات.

وحاله حال من قال الله فيه: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثٗا تَتَّخِذُونَ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرۡبَىٰ مِنۡ أُمَّةٍۚ إِنَّمَا يَبۡلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ٩٢﴾ [النَّحل: ٩٢].

فيا عقلاء الصائمين، ما بهذا أُمر الصائم، وما لهذا شُرع العيد، فلماذا كان رمضان، إذن؟! أهو زمان عبادة موسمية تنتهي هي وآثارها الحسنة في يوم التاسع والعشرين أو يوم الثلاثين؟!

أيها الصائمون، ومن الشعائر التي شرعت للصائم في نهاية صومه: صدقة الفطر؛ طهرة له من اللغو والرفث في رمضان، وطعمة للمساكين يوم العيد. وهي فرض على من ملك قوت يوم العيد وليلته على الصغير والكبير والذكر والأنثى والحر والعبد من المسلمين، ومقدارها صاع من القوت المعتاد من بر أو أرز أو تمر أو ذرة أو نحو ذلك، وهذا الصاع يساوي كيلوين ونصف الكيلو تقريباً.

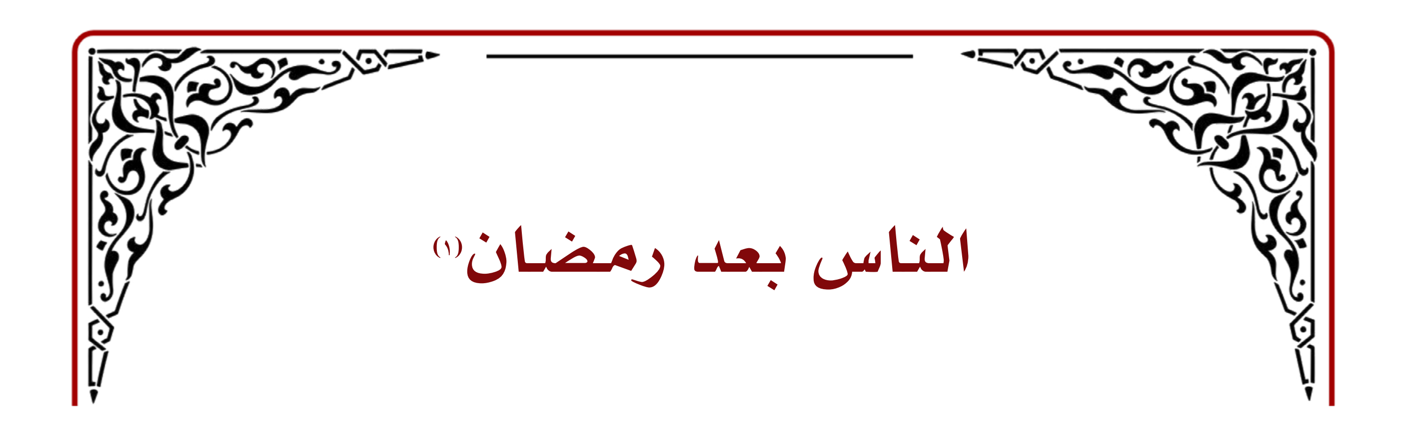
وأفضل وقت لإخراجها قبيل صلاة العيد، ويجوز تقديمها قبل ذلك بيوم أو يومين.

عباد الله، وإن كان رمضان على مشارف الوداع فإنه لم ينته بعد، ولم يخرج عنا جميعه، فما زال في أيامه ولياليه بقية خيّرة يمكن فيها عمل الكثير من البر.

فإذا ما تمت وبدا هلال شوال عند غروب يوم التاسع والعشرين من رمضان، أو غُم فأكمل رمضان ثلاثين يوماً فقد شُرع للمسلم أن يكبر الله تعالى عند إكمال العدة، فإذا فعل ذلك فلعله أن يكون من الشاكرين.

قال الله تعالى: ﴿وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٨٥﴾ [البَقَرَة: ١٨٥].

وصلوا وسلموا على النبي المختار....



الناس بعد رمضان[(١)]

الحمد لله المعبود الحق في كل زمان ومكان، والشكر له على منته بإكمال عدة رمضان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أنزل عليه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان،، نبي الشريعة الدائمة، والرسالة الخاتمة، فصلاة ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحابه أجمعين.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عِمرَان : ١٠٢] . ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النِّسَاء : ١] .

﴿لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأَحزَاب : ٧١] .

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي رسول الله، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون، أولُ القول حمدٌ جزيل لله تعالى على نعمة رمضان التي

(١) ألقيت في مسجد ابن تيمية، إب، في ٤/ شوال/١٤٢٩هـ ٣/ ١٠/ ٢٠٠٨م.

أنعم بها علينا فصمنا الشهر كاملاً، نسأل الله تعالى أن يتقبل منا ما عملنا فيه من الخير، ويعفو عنا ما تجاوزنا فيه حدوده، فاللهم آمين.

عباد الله، لم يدم رمضان بيننا طويلا ، بل ارتحل عنا سريعاً ومعه أعمالنا: صالحها وطالحها شاهداً بها على أهلها لدى خالقنا، فمن أساء فإساءته كبيرة، ومن أحسن فلا يدري أُقبل منه عمله أم رد عليه، ولكنا نسأل الله أن يعفو عنا وأن يتقبل منا صالح العمل.

فليست العبرة -**معشر المسلمين**- أن العامل عمل ، ولكن العبرة كيف عمل العامل؛ فالله تعالى يقول: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [المُلك: ٢]. وأحسن العمل: أخلصه وأصوبه، كما قال بعض العلماء.

كان بعض الصالحين يقفون على أبواب وداع رمضان ومعالم الحزن على وجوههم بادية، وعلى ألسنتهم ناطقة، مع أنهم كانوا يجتهدون اجتهاداً قد لا نستطيعه. فهمهم الأكبر في إتمام العمل وإتقانه، ورجاء قبوله وخشية رده.

روي عن علي رضي الله عنه أنه كان ينادي في آخر ليلة من شهر رمضان : «يا ليت شعري من هذا المقبول فنهنيه، و من هذا المحروم فنعزيه؟»، و عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان يقول : «**من هذا المقبول منا فنهنيه، و من هذا المحروم منا فنعزيه؟ أيها المقبول، هنيئا لك، أيها المردود جبر الله مصيبتك**».

وقال علي رضي الله عنه: «كونوا بقبول العمل أشد اهتماماً من العمل، ألم تسمعوا قول الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المَائِدَة: ٢٧] ؟».

وقال فضالة بن عبيد : «لأن أكون أعلم أن الله قد تقبل مني مثقال حبة من خردل أحب إلي من الدنيا وما فيها؛ لأن الله يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ

ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المَائِدَة : ٢٧] ».

وقال بعضهم: «أدركتهم يجتهدون في العمل فإذا فعلوه وقع عليهم الهم أيقبل منهم أم لا؟!».

ورأى وهب بن الورد قوماً يعبثون حراماً بعد رمضان فقال: «إن كان هؤلاء تقبل منهم صيامهم فما هذا فعل الشاكرين، وإن لم يتقبل منهم صيامهم فما هذا فعل الخائفين!».

أيها الناس، لقد كان رمضان كوكب إشعاع عم ضياؤه وهناؤه، ومورد خير لا تحصى فضائله وخيراته، فطوبى لمن شمله خيرُه وأدركه فضله، واستمر معه أثره الحسن في استقامة النفس وصلاحها؛ فرمضان- عند ذوي الهدى- شحنة إيمانية مدخرة لما بعد رمضان تملأ الحياة نوراً واستبصاراً، ومن ذاق طعم الإيمان ووصل شغاف قلبه صعبت عليه مفارقته.

أيها المسلمون، إذا اكتمل عقل الإنسان وبلغ بدأ تكليف الله له بفرائض يعملها ومحارم يتركها، ويبقى على هذا التكليف حتى يأتيه اليقين أي: الموت، قال تعالى: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ۝٩٩﴾ [الحِجر: ٩٩].

ولا يخرج عن هذا التكليف إلا بفقد ما أدخله فيه وهو ذهاب العقل والتمييز للأمور.

ليتبين بعد هذا أن فرائض الله تعالى على عباده إنما فرضت على الدوام، فإن أخصبت بعض المواسم الزمانية أو المكانية بمزيد المضاعفة وكثرة الطاعة فلا يعني ذلك انحصار تلك القرب في تلك الأزمنة والأمكنة الفاضلة.

إن المداومة على العمل الصالح دليل العبودية الصادقة، سواء كان ذلك العمل الصالح فرضاً أم نفلا، وهذا هو هدي نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا عمل عملاً أثبته-يعني: جعله ثابتا غير

متروك -وكان إذا نام من الليل أو مرض صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة»[(١)].

وهذه دعوة إلى أهمية الاستمرار على العمل الصالح، ولو كان قليلاً، فقليل دائم خير من كثير منقطع، كما قالت عائشة رضي الله عنها: إن رسول الله ﷺ قال: «**أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل**»[(٢)].

و كان للمداومة هذه المكانة عند الله تعالى؛ لما للعمل الصالح المداوم عليه من الآثار الطيبة على المسلم بحيث يبقى متصلاً بالعبادة التي يصلح الروحَ استمرارها، ولعل الأجل يأتيه وهو فيه فيقبض على عمل صالح؛ فمن مات على شيء بعث عليه، كما قال نبينا عليه الصلاة والسلام[(٣)].

فالصلاة لا تنهى عن الفحشاء والمنكر إلا بالمواظبة عليها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله، إن فلانا يصلي الليل كله، فإذا أصبح سرق؟ قال: «**سينهاه ما تقول**»[(٤)].

والتوبة لا ينال صاحبها محبة الله تعالى إلا إذا استمر عليها التائب، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ٢٢٢﴾ [البقرة: ٢٢٢]. فالتواب كثير التوبة.

والمسلم إذا كان كثير الدعاء في كل الأحوال: في السراء والضراء كان أقرب إلى الإجابة من غيره، قال رسول الله ﷺ: «**من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد والكرب فليكثر الدعاء في الرخاء**»[(٥)].

أيها الأحبة الفضلاء، مما لا شك فيه أن المداومة على العمل الصالح ثقيلة على النفس، خاصة إذا هجم عليها صاحبها دون ترقٍ وتدرج؛ لأن

(١) رواه مسلم.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه أحمد وأبو يعلى والحاكم وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

(٤) رواه أحمد وابن حبان والبيهقي، وهو صحيح.

(٥) رواه الترمذي وأبو يعلى، وهو حسن.

النفس تحب الراحة والميل إلى الدعة؛ ولذلك كان على المسلم الذي يريد المواظبة على الطاعة أن يجاهد نفسه ويتدرج معها شيئاً فشيئاً حتى تألف العمل ويصبح لها سجية بعد ذلك، قال رسول الله ﷺ: «**خذوا من الأعمال ما تطيقون؛ فإن الله لن يمل حتى تملوا**»(١).

والجد والعزيمة الصادقة، وبُعد الهدف وسموه، والنظر إلى ما عند الله تعالى، ومعرفة حقيقة النفس ومجاهدتُها، عوامل مساعدة للإنسان على الاستمرار.

أيها المسلمون، يقول النبي ﷺ لبلال رضي الله عنه:«**يا بلال، حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام؛ فإني سمعت خشف نعليك** -أي: تحريك نعليك- **بين يدي في الجنة**» . قال ما عملت عملا أرجى عندي أني لم أتطهر طهورا في ساعة ليل أو نهار إلا صليت بذلك الطهور ما كتب لي أن أصلي»(٢)، فالمداومة من بلال على هذا العمل جعله عنده أرجى أعماله رضي الله عنه.

وعائشة رضي الله عنها كانت تصلي الضحى ثمان ركعات وتداوم عليها وتقول: « لو نشرني أبواي على تركها ما تركتها». هكذا حب المداومة على العمل الصالح يصنع في نفس صاحبه.

عباد الله، ما أحسن ما كان، وما أقل ما خلف! غصت في رمضان المساجد، وكثر الراكع والساجد، والباكي والتالي، والذاكر والباذل ماله في الخير، فما لهذا الجمع بدأ يتصدع ويقل من بيوت الله تعالى ومن هذه الأعمال؟! أفبهذا أمرهم رمضان إذا أفل، أهكذا تظهر آثار رمضان؟!

ما لهذا جاء رمضان، وما على هذا أحب أن يفارق، أين عمار المساجد وأهل الجماعة، أين قراء القرآن، وأين الممسكون لألسنتهم وأهوائهم،

---

(١) رواه مسلم.

(٢) متفق عليه.

لماذا تغيرت الحال وانقلب الواقع؟

لقد شكت بيوت الله-هذه الأيام- فراغها وقلة ارتيادها، وشكت المصاحف هجرانها، وضعف الإقبال عليها، فأين ذلك الإقبال المشهود في رمضان؟

من أمر بالصلاة -**معشر المسلمين**- في رمضان أمر بها بعد رمضان وقبل رمضان أيضاً.

ومن أمر بقراءة القرآن في رمضان أمر به في غير رمضان أيضا، ومن نهى عن محظورات الأعمال والأقوال في رمضان هو من نهى عنها في غيره.

نعم، نحن لا ننكر أن لرمضان مزاياه وخصوصياته في النشاط والجد؛ بسبب الجو العام للطاعة، ولعدد الأيام المحدد من عمر السنة، ويظهر هذا خصوصاً في بداية رمضان، ورسول الله ﷺ يقول : «**لكل عمل شرة، ولكل شرة فترة** »[١].

ولكن تلك الخصوصية لا تعني أبداً الترك بالكلية للطاعات والإقبال بالنفس على المعاصي بعد تولي شهر الخير.

ولا ريب أنه يحصل فتور ويعتري الإنسان خمول وقلة عمل، ولكن تلك الأحوال لا يجوز أن تصل بصاحبها إلى ترك الفرائض وركوب المحرمات؛ ولذلك يقول رسول الله ﷺ في نهاية الحديث السابق: «**فمن كانت فترته إلى سنتي فقد أفلح، ومن كانت إلى غير ذلك فقد هلك**». وفي رواية لأحمد والبزار: «**فمن كانت فترته إلى اقتصاد فلا يلام، أو فلا لوم عليه، ومن كانت فترته إلى المعاصي فأولئك هم الهالكون**».

فالثباتَ الثباتَ -**عباد الله**- وإياكم الفتورَ المؤدي إلى ترك ما وجب وفعل ما حرُم. فمن هجم عليه الفتور والكسل في بعض المستحبات والنوافل فيرجى له حسن العودة، وأما من شرع في مساخط الله ومحارمه فالفطام

(١) رواه أحمد وابن حبان والطبراني، وهو صحيح.

عسر، والذنوب ودود ولود يجر بعضها بعضا

أيها المسلمون، من فاته فضل رمضان وخيراته لتقصيره أو تفريطه، وإضاعة لحظاته الغالية فيما لا ينفع أو فيما يضر فالخسارة كبيرة عليه.

غير أن ذلك لا يغلق أمامه أبواب الخير، فكم لله من باب مفتوح لا يوصد، ولا يعمّي عليه طرق القربات ومسالكها، فكم من سبيل إلى الخير والقربة مُشرع، ولا يقنطه ضياعه في رمضان من وجود فرص متاحة للاستغلال والاستدراك، ولا ييأس من رحمة الله وكرمه ويظن أن خسارته لا تعوض، وأن توبته لا تقبل، وأنه من الهالكين، لكن عليه أن يستأنف ويعزم ويبدأ بطرق باب الله بالندم والتوبة والعزيمة الماضية على المسابقة في مضمار الخيرات، والله ذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون.

وأما من أحسن فعليه أن لا يغتر بإحسانه، ولا ينظر إلى ما قدم بعين الرضا، ولكن لينظر كيف قدم. فمن نظر إلى نفسه وعمله بعين العجب فتر ودل بما فعل، وقد يؤول به الأمر إلى الترك والانقطاع ، والإنسان لا يأمن على نفسه؛ فالقلوب بيد الله فقد ينقلب حاله إلى ما لا يحمد. والجوارح عرضة للخمول والفتور.

والغريب عن بعض المجتهدين في رمضان أن يفتر منه ذلك النشاط، ويذبل ذلك الجد، بل قد يصل الأمر ببعضهم إلى أن يتحول من طاعة إلى معصية، ومن قرب من الله إلى بعد عنه، وحال كهذه أسوأ ممن خسر رمضان واستأنف بعد مضيه أوبة ورجوعاً، وولدت له حياة معمورة بالندم وسرعة المبادرة إلى الخير.

فلا أحسن -**يا عباد الله**- من أن نستقل ما قدمنا وندعو بقبول ما عملنا، ونستغفر على ما فرطنا واقترفنا، ونواظب على ما وجب علينا فعله، وترك ما فرض علينا تركه، والله يثبت الذين آمنوا، ويوفق من صدقوا إلى لزوم

الصراط المستقيم.

بارك الله لي ولكم بالقرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه، **أما بعد:**

أيها المسلمون، ليس كل من شهد الصيام يجب عليه الصيام فورا؛ فقد يكون عنده عذر دائم كالهرِم والمريض مرضاً لا يُرجى شفاؤه، أو يكون عنده عذر طارئ كالحائض والنفساء والمريض مرضاً يُرجى شفاؤه.

فهؤلاء قد يفطرون رمضان كله أو بعضه، ومن تيسير الله تعالى أن جعل رخصة في الفطر ومهلة للقضاء لذوي الأعذار.

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ۝١٨٣ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝١٨٤ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ۝١٨٥﴾ [البَقَرَة: ١٨٣ - ١٨٥].

عباد الله، من أفطر بهرم أو عجز دائم عن الصيام، أو به مرض لا يرجى شفاؤه ولا يستطيع معه الصوم، فهؤلاء ليس عليهم صيام، ولكن تجب عليهم الفدية، وهي إطعام كل واحد منهم مسكيناً عن كل يوم أفطروه من رمضان، ولا يشترط أن يكون الإطعام في رمضان، بل يجوز بعد رمضان، وإن كان الإطعام في رمضان أولى؛ براءة للذمة بتقديم حق الله تعالى، ولمضاعفة الأجر في رمضان.

إلا أن الهرِم الذي قد بلغ به كبر السن حد الخرف وعدم التمييز للأشياء فهذا قد خرج عن عهدة التكليف، وعليه فلا صيام في حقه ولا إطعام.

عباد الله، ومن أفطر بعذر يمكن زواله في رمضان أو بعده كالمسافر والحائض والنفساء والحامل والمرضع والمريض مرضاً يرجى شفاؤه فهؤلاء يجب عليهم القضاء بعد رمضان.

ومن فاته صيام رمضان ومات قبل أن يتمكن من القضاء بأن مات وعذره قائم كالنفساء أو المريض الذي استمر مرضه وقبض عليه أو مات في رمضان فهذا ليس عليه شيء وليس على أقاربه قضاء عنه ولا إطعام.

أما إن أفطر في رمضان بعذر شرعي وقدر على القضاء بعد رمضان ولم يقض فقد شُرع لأوليائه الصيام عنه أو الإطعام عن كل يوم أفطره مسكينا؛ قال رسول الله ﷺ : **«من مات وعليه صيام صام عنه وليه»**(١).

أيها المسلمون، أما من أفطر في رمضان من غير عذر بالطعام أو الشراب أو الجماع أو الاستمناء فقد ارتكب إثماً كبيرا، ولكن لا يعني حصول الإثم ترك قضاء ما أفطره، بل عليه أن يتوب إلى الله تعالى ويستغفره، ويقضي الأيام التي أفطرها، ولعل بذلك محو سيئة إفطاره وتعديه حرمة رمضان، والله أعلم.

هذا وصلوا وسلموا على القدوة المهداة...



(١) متفق عليه.

فهرس الخطب





فتح الرحمن

في خطب رمضان

اثنتا عشرة خطبة عن رمضان